الجمهوريـة الجزائـريـة الديمقراطيـة الشعبيـة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـم العالـي والبحـث العلمـي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

جامعة المجاهد عبد الحفيظ بوالصوف لميلة

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي
المرجع: .....

الغربة في ديوان "ظل حارس" لمحمد ديب

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب جزائري

إعداد الطالبة:
أميرة بوشطيبة

إشراف:
أ. د . عبد الكريم طبيش

السنة الجامعية: 2026/2025

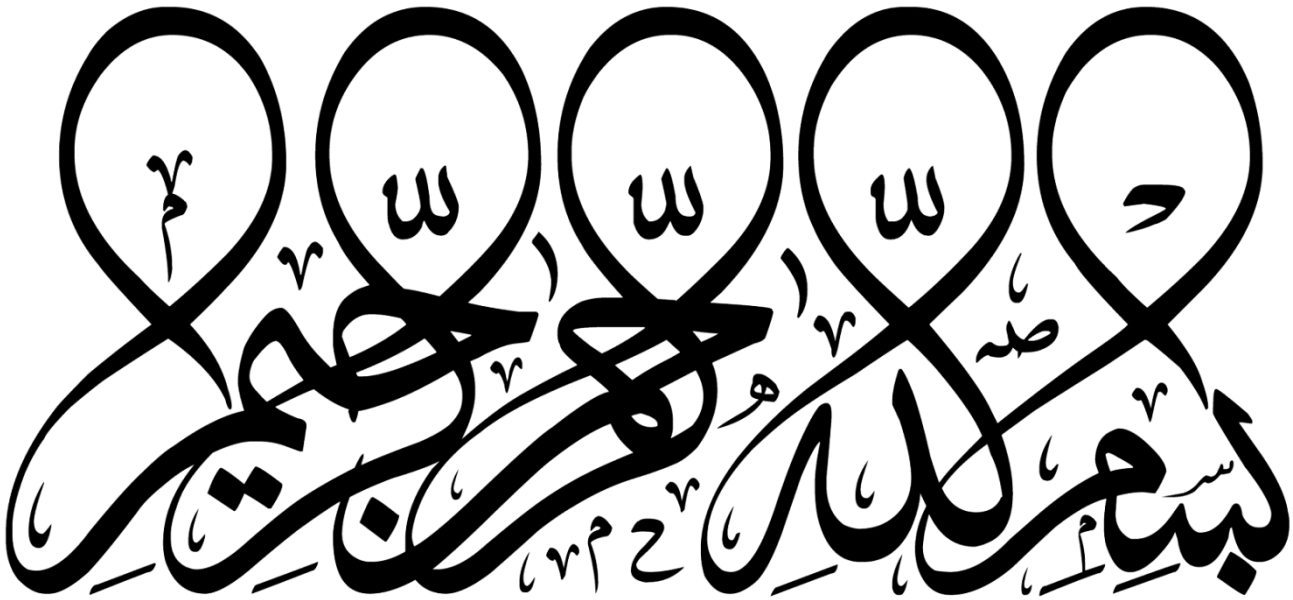
بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى

"يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ"

"صدق الله العظيم"

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد

فإني أشكر الله تعالى على فضله حيث أتاح لي إنجاز هذا العمل فله الحمد أولا "

ثانياً، أود أن أشكر الأستاذ المشرف عبد الكريم طبيش،

من خلال نصائحه القيمة وتوجيهاته الدقيقة طوال مسيرة البحث.

.

الإهداء

الحمد لله الذي وفقني لإتمام هذا العمل،

وبلغني هذه اللحظة التي طال انتظارها

أهدي ثمرة تخرجي إلى كل من كانا السبب بعد الله

في وصولي إلى هنا إلى من كان دعائك يرافقني في كل امتحان وكل خطوة

إليكِ أمي العزيزة

إلى من علمني الثبات والصبر والسعي

من رعاني وتحدى الظروف لتعليمي

إليكَ أبي الغالي

إلى إخوتي وأخواتي،

وكل من شاركونا أفراحنا وأحزاننا

عائلتي وسندي أهدي لكم هذا العمل

أميرة

مقدمة

لم يكن الأدب في يوم من الأيام ترفا لغويا أو زخرفا جماليا فحسب، بل كان منذ نشأته الأولى صرخة الإنسان في وجه العدم، وبحثه الدائم عن معنى لوجوده، فالكلمة كانت ولا تزال ملاذ الإنسان حين تضيق به السبل، ووطنه البديل حين تسلب من الأوطان، فالأدب هو ذاكرة الوجع البشري، وهو الشاهد الأمين على كل تمزقات الذات التي صاحب الإنسان عبر العصور.

وفي خضم هذه التجارب الإنسانية الكبرى، تبرز ظاهرة الغربة كواحدة من أكثر الظواهر رسوخا وأشدها التصاقا بالتجربة الابداعية، والتي هيمنت على الأدب بصفة عامة، لا سيما عند الكتاب الذين عاشوا مرحلة الاستعمار وما بعدها، فهي لم تكن مجرد إحساس عابر بالحنين بل تحولت إلى بنية وجودية، وفكرية، طبعت التجربة الإبداعية، والإنسانية، لأجيال كاملة.

وقد كان للأدب الجزائري نصيب وافر من الخوض في هذه التجربة والتعبير عن أحاسيسه، فالأديب الجزائري الذي عاش تجربة الاستعمار، وجد نفسه غريبا في أرضه، غريبا في لغته، وغريبا حتى بعد الاستقلال وهو يبحث عن ذاته بين ركام الماضي وضباب المستقبل.

وعليه يأتي موضوعنا الموسوم ب"**الغربة في ديوان ظل حارس لمحمد ديب**" للبحث عن تجليات الغربة في قصائد الديوان التي تحمل في فحواها شعور محمد ديب بالغربة.

وعليه تكتسب دراسة الغربة في هذا الديوان أهميتها كونها مفتاحا لفهم العالم الداخلي للشاعر ولتفكيك العلاقة الجدلية بين الذات والآخر، وبين الوطن والمنفى، وبين الحضور والغياب، بالإضافة إلى تسليط الضوء على جانب مهمل في تجربة محمد ديب الإبداعية، وهو الجانب الشعري.

وقد كان الهدف الرئيسي من هذا البحث هو الكشف عن مظاهر الغربة في ديوان محمد ديب، بالإضافة إلى تبيان أبعاد الغربة في شعره، والكشف عن لغة الأديب في ثنايا ديوانه، والخصائص الفنية المشكلة له، أي القالب الذي تم من خلاله الكشف عن ظاهرة الغربة في النص الشعري، وتبيان أن للأدب الجزائري خاصة الشعري منه ظواهر أدبية وفنية تستحق إعطاءها اهتماما كبيرا.

لقد دفعتني أسباب ذاتية وأخرى موضوعية لاختيار هذا الموضوع، فأما الأسباب الذاتية:

إرادتي للبحث في هذا الموضوع، وفي مجال الشعر خاصة كانت أحد الأسباب الذاتية التي جعلتني أختاره، بالإضافة إلى جمالية اللغة التي يتميز بها الأديب مخمد ديب، الذي شد اهتمامي له.

أما الأسباب الموضوعية: الابتعاد عن مواضيع الشعر المطروقة، والاستفادة من تجربة ولغة محمد ديب وترك أثر ومنفعة في مكتبات البحث.

وتأسيسا على ما سبق ذكره أثارتني مجموعة من التساؤلات تصب في صميم دراستي حول الغربة في ديوان ظل حار لمحمد ديب، فإن الإشكالية الرئيسية التي يمكنني طرحها هنا:

- كيف تجلت ظاهرة الغربة في ديوان "ظل حارس" لمحمد ديب؟
- تتبعها أسئلة فرعية: ماهي المفاهيم المؤسسة للغربة، وما حدودها مع الاغتراب؟
- ماهي أنواع الغربة التي عاشها محمد ديب وأسقطها في الديوان؟ وكيف وظف اللغة والصور الشعرية للتعبير عن غربته؟

وعليه جاء بحثنا مكونا من مقدمة ثم يليهما فصلان لكل فصل مبحثان وخاتمة وفقا للخطة الموالية:

الفصل الأول والذي كان بعنوان "مصطلحات ومفاهيم: يضم مبحثين، المبحث الأول بعنوان "مفاهيم عامة" وقد قسم لثلاث مطالب، خصصناه لعرض مفاهيم الغربة لغة واصطلاحا، وتطرقنا فيه لعنوان "بين الغربة والاغتراب" للتفريق بين المصطلحين، كذلك لتتبع مسار نشأة المصطلح، أما المبحث الثاني بعنوان "أنواع الغربة وأبعادها" أدرجنا فيه أنواع الغربة، وأسبابها وأبعادها في ثلاث مطالب بالترتيب.

وبعده الفصل الثاني الموسوم " تجليات الغربة في ديوان ظل حارس لمحمد ديب " والذي ضم مبحثين اثنين كذلك، الأول منهما كان بعنوان "الملامح العامة لديوان ظل حارس لمحمد ديب" كان للكشف عن السياق التاريخي والثقافي لتجربة ديب، من أهم أعماله وغيرها، وكذلك للتطرق لمضمون الديوان من خلال القصائد الشعرية التي يضمها، والمطلب الأخير قيمة ديوان محمد ديب في الدراسات الأدبية، ثم انتقلت في المبحث الثاني الذي كان بعنوان "مظاهر الغربة في

ديوان "ظل حارس" والذي ضم ثلاث مطالب، المطلب الأول: بعنوان صورة الغربة في ديوان ظل حارس، المطلب الثاني: أبعاد الغربة عند محمد ديب في ديوانه، وآخر مطلب من هذا الفصل بعنوان "التشكيل الفني والجمالي في تجربة الغربة في ديوان ظل حارس لمحمد ديب.

ختم البحث بحصيلة عامة لكل ما سبق، بأهم النتائج المتوصل إليها.

كما اعتمدت على المنهج الموضوعاتي من أجل تحليل صور الغربة في ديوان ظل حارس لمحمد ديب، ودراسة لغة الشاعر والأساليب البلاغية.

أما أهم المصادر والمراجع التي عادت إليها الدراسة نجد:

- كتاب "الحنين والغربة في الشعر العربي الحنين إلى الاوطان" ليحي الجبوري(2008م)
- وكتاب دراسات في سيكولوجية الاغتراب عبد اللطيف محمد خليفة.(2008م)

ومن الدراسات السابقة حول موضوع الغربة نجد:

- ديوان الغربة والاغتراب والشعر لعبده بدوي
- تيمة الغربة وتجليات يوتوبيا الحنين في ديوان رحيق الروح

ومن الصعوبات التي واجهتني في هذا البحث هي أنني أمام ديوان يحمل العديد من القصائد متعددة الموضوعات، ثرية بمظاهر وصور الغربة يصعب الانتقال من قصيدة إلى أخرى دون الوقوف عند كل نقطة منها والتفصيل فيها.

في الأخير أتوجه بخالص عبارات الشكر والعرفان للأستاذ المشرف "عبد الكريم طبيش" على إرشاداته ونصائحه القيمة، إضافة إلى توفيره لي لجملة المصادر التي أفادتني ويسرت علي عملية البحث.

الفصل الأول: مصطلحات ومفاهيم

المبحث الأول: مفاهيم عامة

المبحث الثاني: أنواع الغربة وأبعادها

تمهيد:

أصبحت الغربة في عصرنا الحالي ظاهرة مثيرة للجدل والنقاش اللغوي، فقد تعددت تعاريفها بظهور أسباب مستحدثة، ومشاكل مأساوية من حروب عالمية وإقليمية، وبهذا تنوعت تعريفات الغربة بمرور الزمن وما يصاحبه، حيث أن مفهوم الغربة من أكثر المفاهيم التصاقا بالجانب الإنساني.

ولمقاربة موضوع الغربة تقتضي الدراسة تأسيسا نظريا ومفاهيمياً دقيقاً، يجنبنا الخلط والالتباس. فالغربة ليست مفهوما أحادي الدلالة، بل هي حقل دلالي متشعب يتداخل فيه النفسي بالاجتماعي، والفلسفي بالسياسي، كما أن حدودها تلتبس مع مفاهيم مقاربة ك"الاغتراب"، مما يستوجب تحديدا اصطلاحيا صارما، فضلا عن أن الغربة وانواعها، وابعادها تختلف باختلاف السياق التاريخي والظرف الذاتي للمبدع.

وعليه يأتي هذا الفصل بنية تأسيسية للمذكرة، نهدف من خلاله إلى تفكيك مصطلح "الغربة" وتحديد مفاهيمه الكبرى ونشأته، قبل الولوج إلى تجلياته في ديوان "ظل حارس".

المبحث الأول: مفاهيم عامة

يحاول هذا المفهوم الغربة من حيث جانبها اللغوي وجانبها الاصطلاحي، بالإضافة إلى تحديد نشأة الغربة، وتطورها عبر العصور كما نتطرق في الطلب الأخير، من هذا المبحث إلى ثنائية الغربة والاغتراب والفصل بين المصطلحين.

المطلب الأول: مفهوم الغربة

1-لغة

مصطلح الغربة في معاجم اللغة العربية، يأتي بمعنى النزوح عن الوطن، فيأخذ بذلك مفهوم الاغتراب، والذي معناه يشير إلى أكثر من دلالة.

يشير ابن منظور في معجمه" لسان العرب" إلى مفهوم الغربة بقوله :" يقال الغُرْبَةُ والغَرْبُ أي النُّزُوحُ عَنِ الوَطَنْ والاغْتِرَابِ ويقال أَغْرَبتُه وَغَرَّبْتُهُ إِذَا نَحَّيْتُهُ وَأَبْعَدْتُه والتَّغرِيبُ البُعْد وَفِي الحَدِيثِ إِنَّ رَجُلاً قَالَ لَهُ إِنَّ إِمْرَتِي لاَ تُرِيدُ لَمْسِي، فَقَالَ: غَرِّبُهَا أَيْ أَبْعِدْهَا، وَيُرِيدُ الطَّلاَقْ" [1]

ورد في **معجم العين للفراهيدي** فيه أن " الغربة والاغتراب من الوطن. وغرب فلان عنا يغرب غربا، أي تنحى، وأغربته وغربته: أي نحيته، والغربة النوى البعيد، يقال: شقت بهم غربة النوى"[2]، وحسب قوله فالغربة هي النزوح بمعنى البعد، والابتعاد عن الوطن.

وقال **الجوهري** في معجمه الصحاح فيقول: "غَ رِ بَ الْغُرْبَةُ والاغْتِرَابُ. تقول : تَغرَّبَ أو اِغْتَرَبَ المعني فهو(غَرِيبٌ) و(غُرُبُ والجمع (الْغُرَبَاءُ)، أيضا أَبَاعَدَ وَاغْتَرَبَ فلان، إن تزوج إلى غير أقاربه وفي الحديث: " اغْتَرِبُوا لا تضاؤوا " والتَّغْرِيبُ النفي عن البلد أو أَغْرَبَ الرجل أي جاء بالشيء الغَرِيبُ وأَغْرَبَ أيضا أي صار غَرِيبًا".[3]

حسب التعريفين السابقين لمصطلح الغربة فهو يعني البعد والتغريب والاغتراب والنفي عن الوطن.

ويعرف **الزمْخشري** الغربة بقوله: "غَرَّبَهُ، أَبْعَدَهُ وَغُرِّبَ: بُعِد" [4]

وقال **الفيروز أبادي** في قاموسه المحيط " غَرَبَ: غَابَ، تَغَرَّبَ وَبَعُدَ. وَاِغْتَرَبَ: تَزَوَّجَ فِي غَيْرِ الْأَقَارِبِ "[5]، لم يخرج فيروز أبادي عن القاموس اللغوي للغربة بمعنى البعد والتغرب أيضا.

ومن التعريفات السابقة نجد أن معاجم اللغة العربية، وعلى اختلافها تجمع على أن كلمة غربة أو اغتراب تعني النزوح عن الوطن والبعد عنه، أو التنحي والنفي والتغَيبُ عن الناس، فالأصل اللغوي يربط الغربة بالمكان والانفصال الجغرافي.

---

[1]– جمال الدين بن منظور: لسان العرب، ج1، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، 1955م، ص 639.

[2]– الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين ، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت–لبنان، 2004م، ص603.

[3]– محمد بن بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، (دط)، مكتبة لبنان للنشر، لبنان، ص197.

[4]– جار الله محمود بن عمر الزمخشري: أساس البلاغة، تح: مزيد نعيم، شوقي المعري، ط1، دار صادر، بيروت– لبنان، ص477

[5]– محمد بن يعقوب الفيروز آبادي مجد الدين: قاموس المحيط، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 2008، ص603.

2-اصطلاحا

من الصعب إيجاد مفهوم واضح ومحدد لمصطلح الغربة ولعل هذا راجع لكثرة الجوانب التي يستعمل فيها، أو لتعدد الآراء حوله، وفيما يلي بَسط في معاني الغربة لدى بعض الباحثين والمتخصصين.

لامس الاحساس بالغربة الإنسان منذ نعومة أظافره لذلك فقد: " يبدو أن الغربة عاشت مع الإنسان منذ بداية حياته فهو منذ بدأ يضرب في الارض: قد حمل بين جوانبه ضروبا من الاحساس بالغربة حتى تلونت قطاعات عريضة من أدبه بعد ذلك بهذا الاحساس"[1]، تمثلت الغربة في إحساس الإنسان وتوغلت في شعوره الداخلي حتى أصبحت تجسد عبر الأدب ومختلف القطاعات الفنية التي عبرات عن حالة الإنسان ومشاعره وأحاسيسه.

يمكن القول إن ظاهرة الغربة، ومفهومها قد جرى تداولها من قبل الأدباء والشعراء القَصَاصِينْ، بدلالات مختلفة ومعانٍ متباينة، حسب الأحوال، إلا أن تلك التنوعات يمكن ردها إلى :" أن الغربة تتمثل في الشعور، الذي يمكن أن يشعر به الإنسان عندما يغادر مسقط رأسه أو موطنه إلى مكان آخر، أو الشعور الذي يراود الفرد حين يضْطر للانفصال أو النزوح عن مجتمعه "[2]، يراد بالغربة أنها ظاهرة مرتبطة بغربة الإنسان عن مجتمعه ووطنه وشعوره حينما ينفرد لوحده بعيدا عن دياره مهما كانت الأسباب فالشعور واحد.

يعرفها **ابن القيم** *بقوله:" الغربة هي انفراد، والانفراد إما بالجسم، وإما بالقصد والحال، وإما بهما، كان الغريب غريب الجسم، أو غريب قلب وإرادة وحال، أو غريبا بالعبارتين"[3]، يُفصل ابن

---

[1]- عبد الرزاق الخشروم، الغربة في الشعر الجاهلي، (د.ط)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق-العراق، 1986، ص14.

[2] - عبد القادر عبد الحميد زيدان: التمرد والغربة في الشعر الجاهلي، ط1، دار الوفاء، الإسكندرية-مصر، د ت، ص 07

[3]-ابن القيم الجوزية: الغربة والغرباء، ط1، دار الهجرة للنشر، المملكة العربية السعودية، ، 1989، ص74.

***ابن القيم الجوزية**، أحد أبرز علماء الإسلام، وُلد في دمشق عام 691 هـ. نشأ في بيئة علمية وتأثر بعدد من شيوخ العلم أبرزهم ابن تيمية.

القيم في كتابه الغربة والغرباء الحديث عن ظاهرة الغربة، بوصفها انفراد عن الجسم والقلب أي روحيا وجسديا معا.

وفي هذا الصدد تعرف الغربة على أنها : " الغربة ظاهرة قديمة لم ترتبط بوقت محدد أو حقبة زمنية معينة، إلا أنها تزداد في فترات يكثر فيها الاضطراب والقلق، وعدم الاستقرار في أوضاع المجتمع السياسية والاجتماعية والاقتصادية، لقد استطاعت هذه الظاهرة أن تفرض نفسها موضوع أساسي على كثير من الكتابات الأدبية والأعمال الفنية، والبحوث الاجتماعية والدراسات الفلسفية[1]" أي أن تعريف الغربة مرتبط بالإنسان، الذي يتغرب من أجل الدراسة أو كسب العيش أو الربح المادي الأفضل، أو أسباب سياسية مثل: انعدام الاستقرار الأمني ، وفي هذه الحالات هنا الغربة تفرض نفسها، وبهذا تكون الغربة ظاهرة يهتم بها الأدباء والمفكرون، وجعلوا منها قضية إنسانية مهمة للتحليل والمناقشة.

كما تعني الغربة عند الأدباء: " النزوح عن الوطن، أو البعد والنوى أو الانفصال عن الآخرين، وهذا المعنى يرتبط ارتباطا قويا بالمعنى الاجتماعي، الذي يوضح من خلاله أن هذا الانفصال، لا يمكن أن يتم دون مشاعر نفسية، كالخوف أو القلق والحنين تسببه أو تصاحبها وتنتج عنه "[2]، يوضح القول أن الغربة مرتبطة بانفصال الإنسان ، عن مجتمعه وبذلك يراوده شعور ذاتي طبيعي فطري بالغربة ، وقد يكون سبب ذلك الخوف من الوَحْدة، أو الشعور بالقلق ..الخ.

مما سبق من تعاريف حول الغربة، نستنتج بأن الغربة هنا مرتبطة بالبعد عن المحيط المعيشي، سواء كان اجتماعيا أو سياسيا وثقافيا، ولا يحدث هذا إلا من خلال شعور الإنسان بالانعزال داخل نفسيته وخروجه من ذاته كأنه إنسان مختلف في مجتمع مختلف يعيش الانفراد والعزلة فيشعر بالغربة، إذا فالغربة تبدأ بالجسد لتنزاح الى شعور ذاتي.

[1] – أبوزيد أحمد: **اغتراب**، (مجلة عالم الفكر) ، عدد1، مجلد 10، كردستان–العراق، 1979م، ص 131.

[2] – رجب محمود: اغتراب، ط1، منشأة المعارف المصرية، الاسكندرية، مصر، 1978م، ص43.

المطلب الثاني: بين الغربة والاغتراب

يحاول هذا العنصر توضيح الإشكال الموجود بين المصطلحين "الغربة والاغتراب"، فكثيرا ما يحدث اختلال وتضارب بين مصطلحين، وذلك راجع لأسباب عديدة قد يكون مفادها الترجمة الغربية، أو اختلاف التسمية بين المصطلح في الدراسات الغربية والعربية، وكذلك توسع مفهوم المصطلح بحد ذاته وتداخل الحقول المعرفية، فتتعدد التسميات لمصطلح يدل على معنى واحد، أحيانا يختلف الباحثون في تسمية مصطلح واحد فيذكر بعضهم الغربة، والأخر يذكرها بمصطلح الاغتراب، مثلما حدث مع المصطلحات الغربية بعد الترجمة العربية، فالمعاني واحدة لكن المصلح يختلف من باحث لباحث آخر.

يوضح علي إبراهيم النملة في كتابه " إشكالية المصطلح " بقوله: « على أنه من المهم التوكيد على قدرة اللغة العربية على استيعاب المصطلحات، بما في ذلك قبول دخول مصطلحات وكلمات أجنبية إلى اللغة العربية بخلاف من يريد أن ينتصر للغة العربية فيسعى إلى نبذ فكرة استعارتها ألفاظا ومصطلحات أجنبية[1] ، أحيانا يجد الباحث نفسه داخل متاهة المصطلح، فدلالة واحدة لمصطلحات عديدة، راجعة إلى الترجمة الغربية فالمعنى واحد لكن المصطلح يتغير، كما أن هناك فئة لا تقبل المصطلحات الأجنبية حتى في ترجمتها لا ترقى في نظرهم لتسمية المصطلح.

وعند حديثنا عن " الغربة والاغتراب " فقد حدث اختلاف في المفاهيم لدى العديد من الباحثين والدارسين، فهناك ما عبر عن الغربة بنفس دلالة الاغتراب، أي أنهما يشكلان معنى واحد، في حين هناك ما وضع بينهما فروقات توضح، أن مصطلح الاغتراب له مفهومه الخاص من حيث الدلالة والمفاهيم من الغربة.

[1]– علي إبراهيم النملة: إشكالية المصطلح في الفكر العربي، الاضطراب في النقل المعاصر للمفهومات،ط1، بيسان للنشر والتوزيع، لبنان، 2010م، ص 25.

1-عند الغرب:

بالنسبة لمصطلح الغربة في الغرب: " نجد معنى الغربة والاغتراب يتداخلان في المعاجم الأجنبية، عند الاستخدام الحركي الفونيPhono في اللغة الانجليزية والألمانية، حيث يفيد المعنى التغريب أو السطو أو السلب، فاللفظ الألماني Fremd يماثل اللفظ اللاتينيAlienus واللفظ الانجليزيAlien الذي يعني الانتماء إلى الآخر أو التعلق به " [1]، فأغلب الكتب الأدبية الأجنبية في تعريفها للغربة تربطها ارتباطا وثيقا بالاغتراب، في معنى واحد وهو البعد والتغريب والسلب.

ومما تقدم يمكن القول أن اصطلاح الغربة " قد تلاشى ولم يصبح له وجود منذ القرن التاسع عشر، وقد أمكن استعمال الغربة في زمن يعود إلى القرن السادس عشر، وفيما يتعلق بالغربة التي تسود العلاقات بين الأشخاص، فقد استخدم " **لوثر*** بهذا المعنى في ترجمة للعهد الجديد، ولكن يبدو في القرن التاسع عشر فحسب، بدأ فعلا استخدام هذا المصطلح يحرز رواجاً ملحوظاً "[2]، إذا نظرنا الى تاريخ الغربة من الجانب الغربي، نجد أن أغلب المنظرين للمصطلح يردونه بمصطلح (الاغتراب) في اختلاف لبعض المفاهيم.

في مفهوم الاغتراب: يعد **هيجل (Friedrich Hegel)*** أول مستخدم لمصطلح الاغتراب استخداما منهجيا منظما، الانفصال بين الذات والبنية الاجتماعية، هو أحد معاني الاغتراب عند هيجل، ويعتقد هيجل أن ها الاغتراب عن البنية يفرض على الإنسان اغترابا آخر هو الاغتراب عن الذات، فافتقاده لكليته ينتج عنه تغريب نفسه عن طبيعته الجوهرية [3]، يشير هيجل إلى فكرة أن الاغتراب مرتبط ارتباطا ذاتيا بالنفس المغتربة عن ذاتها، أي أن يغترب الإنسان عن طبيعته

[1] – ريتشارد شاخت: الاغتراب، تر: كامل يوسف حسن، ط1، المؤسسة العربية للدراسات ، بيروت– لبنان، 1980، ص 67.

[2] – ريتشارد شاخت: الاغتراب، ص68.

[3]– ينظر لزهر مساعد ية: نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي، (د.ط)، دار الخلدونية، الجزائر، 2013م،ص24–25.

*مارتن لوثر (10 نوفمبر 1483 – 18 فبراير 1546) راهب ألماني وقس وأستاذ لاهوت ومُطلق عصر الإصلاح في أوروبا.

البشرية فيصبح غريبا، فالبنية الاجتماعية تفرض على الفرد نمطا من الاغتراب، يتمثل في اخضاعه لعلاقات وقوانين خارجية لا يشعر بأنها تعبير عن ذاته. ويؤدي هذا الوضع إلى أن يغترب الإنسان عن ذاته، أي أن يتباعد عن طبيعته الجوهرية ويصبح غريبا عن حقيقته الداخلية.

كما يعتقد **ماركس(Karl Marx)** * " أن قهر الاغتراب مرهون بزوال الملكية الخاصة، كما أنه يرجع ظهوره إلى الجوانب المادية في الحياة (الاقتصاد) ويهمل بواعثه المعنوية(الثقافية والفكرية والدينية) التي هي روابط يتصل الفرد من خلالها مع الآخرين ومن تتبعنا لما قاله ماركس نجد:

الأول: عندما يكون الإنسان في حالة عمل، وبخاصة عندما يكون في حالة العمل، وبخاصة عندما يمارس هذا العمل في نطاق رأسمالي، فإنه يكون دائما في حالة اغتراب عن قواه الإبداعية

الآخر: شعوره بالغربة نتيجة لإحساسه بأن وجوده هو من أجل الانتاج بدلا من أن يكون الإنتاج موجود من أجله"[1]، يرى كارل ماكس أن ظاهرة الغربة مرتبطة ارتباطا وثيقا، بزوال الملكية الخاصة وسيطرة علاقات الانتاج الرأسمالية، فالاغتراب عنده لا يفهم بمعزل عن البنية الاقتصادية للمجتمع، إذ يرجع ظهوره إلى تغليب الجوانب المادية في الحياة على أبعادها المعنوية ولثقافية والفكرية، ويحدد ماركس الاغتراب من خلال الروابط التي تصل الفرد بالآخرين في العملية الانتاجية، ويبرز ذلك من خلال مظهرين أساسيين، اغتراب الانسان في العمل، واغتراب الانسان عن وجوده، وعليه فالاغتراب عند ماركس هو حالة انفصال يمر بها العامل داخل النظام الرأسمالي، يتمثل في انفصاله عن عمله، عن منتج عمله، وعن ذاته الانسانية.

[1]– أمينة بوعلامات: مصطلح الاغتراب في الفكر الغربي والفكر العربي، (مجلة أنثربولوجية الأديان)، مجلد 9، ع 2، جامعة تلمسان، الجزائر، 2013م، ص214 .

*جورج فيلهلم فريدريش هيجل (1770–1831) فيلسوف ألماني بارز، يُعدّ رائد المثالية الألمانية ومؤسس المنهج الجدلي (الديالكتيك)

*ماركس (1818–1883) فيلسوف ومفكر سياسي واقتصادي وعالم اجتماع، ألَّف العديد من الكتب في مجالات الفكر والفلسفة والسياسة والاقتصاد.

2- عند العرب:

يعرف الاغتراب: " في أبسط معانيه هو تصدع الذات ذات الفرد، وانشقاقها نتيجة عدم تواؤمها مع المجتمع والعالم المحيط بها..."[1]، وهذا يعني أن الاغتراب، راجع لسببين السبب الاول انسلاخ الذات عن نفسها يغترب الإنسان من نفسه، وكأن الجسد تنفصل عن الروح، والسبب الثاني عدم تحقيق الانسجام مع المجتمع الذي ينتمي إليه، ولو قارنا هذا التعريف بالتعاريف السابقة للغربة، نجد أنهما متطابقان نوعا ما، كذلك فالغربة ناتجة عن عدم توافق الفرد مع تقاليد أو عادات المجتمع، فيلجأ إلى الغربة.

من التعريفات السابقة وبناء على مفهوم الغربة، ومفهوم الاغتراب يتضح لنا جليا أن مصطلح الغربة والاغتراب، يلتقيان في مجموعة من المفاهيم خاصة لدى الدراسات العربية، فقد ربط العرب لفظة غربة بالاغتراب منذ البدايات الأولى للحديث، عن هذه الظاهرة أما ما يمكن رصده من الدراسات الغربية فالحديث، عن الغربة كمصطلح ليس شائعا بقدر ما هو الحديث عن ظاهرة الاغتراب والتوغل في تعريفه والتفصيل في مفاهيمه وأبعاده

" فإن اصطلاح الغربة قد تلاشى، ولم يصبح له وجود منذ القرن التاسع عشر، وقد أمكن استعمال لفظ الغربة في زمن يعود إلى القرن السادس عشر"[2]، فالدراسات الحديثة أصبحت تركز على مصطلح الاغتراب، وحتى وإن وجدنا لفظة غربة فيراد بها أيضا اغتراب.

هذا من جهة ومن جهة أخرى فالاختلافات التي يمكن أن نستنتجها في دراستنا هي أن الغربة تشمل كل ما هو نفسي ومكاني، هي عزلة عن الوطن والعادات والتقاليد، التي تخص المجتمع ترتبط الغربة ارتباطا وثيقا بالمكان خصيصا وبالحنين للوطن، حتى الغربة النفسية تأتي

[1] – لزهر مساعدية: نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي العربي ، ص61

[2] – حمدة دحاني: ظاهرة الغربة في شعر مفدي زكريا، رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة منتوري– قسنطينة، كلية الآداب واللغات، 2005–2006، ص13.

من الوِحدَة والبعد عن الوطن، أما الاغتراب فهو صراع ذاتي يغترب الشخص عن ذاته نفسها، وكلاهما ينتجان مشاعر سلبية من الحزن والفقد والحنين.

المطلب الثالث: نشأة مصطلح الغربة

الغربة مصطلح قديم شديد العمق ضارب الجذور إلى فجر البشرية جمعاء، حيث ارتبط بوجود الإنسان على وجه البسيطة، فهي ظاهرة قديمة عاشها الكثيرون ومروا بها منذ أقدم العصور، فأصبحت من أصعب المشاكل التي يعاني منها الإنسان ومنها تعددت مشاكله، فكتب عنها أدباء وشعراء لما أحسوه من الغربة، وفصل فيها آخرون لنجد أنه لا يمكن تحديد نشأة دقيقة للغربة. ولكن يمكن تتبع مسارها عبر التاريخ والحديث عن مظاهرها وتجلياتها في أدبنا العربي خاصة.

وعند تتبعنا لتاريخ هذه الظاهرة في أدبنا العربي وتجليات المصطلح ومظاهره نجد:

1-مصطلح الغربة في الشعر

أ- **العصر الجاهلي** حيث ذكر عبد الرزاق الخشروم ذلك في قوله: " موضوع الغربة في العصر الجاهلي تميزت بين نوعين من الغربة:

غربة القهر: ليس للإنسان سلطة فيها وإنما اصطلحت مجموعة من عوامل على خلقها. وقد تجلت في الغربة عن المجتمع.

غربة الذات: قصد اليها الإنسان الجاهلي قصدا وقد تجلت في حنينه الى الماضي وتغير الدهر عليه وخروجه عن القبيلة، وعلى القيم الدينية الروحية التي كان يؤمن بها المجتمع الجاهلي"[1]، يرى عبد الرزاق الخشروم أن الغربة في العصر الجاهلي تنقسم إلى نوعين: غربة

[1] -عبد الرزاق الخشروم، الغربة في الشعر الجاهلي، ص14.

الذات وغربة القهر، وكما هو معروف البيئة الجاهلية بيئة صعبة وقاسية، فالظروف التي عاشها الإنسان كانت سببا أيضا في الغربة.

ويذْكر أيضا " كانت مطالع القصائد الجاهلية في كثير من الأحيان حديثا عن الأطلال – بقايا وطنه المهجور– واحساسا بالغربة بعد الأُنس وحنينا طويلا إلى ديار أحبابه الراحلين "[1]، لقد كان المكان بالنسبة للشاعر الجاهلي رمزا للضياع، والحزن، والبكاء، فذلك الترحال، والبعد عن الأحباب، نَتَج عنه مشاعر تفيض بالحنين والشعور بالغربة والوحشة والبعد، سواء كانت أسباب سياسية أو اجتماعية.

عبر الشعراء عن إحساسهم بالغربة في أشعارهم ونجد من تجلياتها، "يأتي سلمة بن زيد البجلي الضيم ويفضل الغربة فَأْرض الله واسعة :

لا خير في بلد يضام* عزيزه وعن الهوان مذاهب ومنادح ** [2]

وهذه صورة أخرى من صور الغربة التي يجسدها الشاعر، حيث يرى أن الابتعاد عن الوطن ليس مكروها إذا كان البقاء فيه يعني الذل وضياع الكرامة، فالشاعر يفضل الغربة على العيش في بلد يظلم فيه الإنسان الكريم وتهان كرامته، لأن أرض الله واسعة، وفي الهروب من الهوان طرق كثير للنجاة وحفظ ماء الوجه.

نشير في حديثنا عن العصر الجاهلي لفئة الصعاليك ونستشهد بقول الشاعر الشنفرى في قصيدته:

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيَّكُمْ فَإِنِّي إِلى قَوْمٍ سِواكُمْ لأَمْيَلُ

فَقَد حُمَّتِ الحَاجَاتُ واللّيْلُ مُقْمِرٌ وَشُدَّتْ لِطِيَّاتٍ مَطَايَا وَأَرْحُلُ

[1] – عبد الرزاق الخشروم، الغربة في الشعر الجاهلي، ص15

[2] – يحي الجبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي الحنين إلى الاوطان ، ط1، دار مجدلاوي، للنشر والتوزيع ،عمان، الاردن، 2008، ص21.

يضام: يظلم ويهان ويذل، أي لا خير في وطن يظلم فيه الانسان الكريم العزيز النفس.

***منادح:** وهي المكان الواسع الفسيح، وتأتي بمعنى المخرج والسعة والملجأ، أي طرق واسعة ومخارج وملاجئ

وَفي الأَرْضِ مَنأًى لِلكَرِيم عَنِ اَلأَذَى وَفيهَا لِمَنْ خَافَ القِلى مُتَعَزَّلُ[1]

وكما هو معروف عن **الصعاليك** *كفئة متمردة خارجة عن قانون القبيلة من رفض للعادات والتقاليد، والشنفرى أحد الصعاليك الذين تغربوا عن قبيلتهم كنوع من النفي والطرد فقد رأى في الغربة والرحيل طريق آمنة من أذى قومه، كلمة "أقيموا" و"ارحلو" توحي بالطرد والإبعاد، وكأن الأرض ضاقت به فلم يعد يجد إلا الرحيل ملاذاً.

الغربة في هذه الأبيات ليست مجرد بعد عن الوطن، بل غربة روحية يشعر بها الشاعر بين قوم لا يشبهونه، فالرحيل أصبح ضرورة لحفظ النفس، وصون الكرامة.

ب- العصر الإسلامي

الغربة مصطلح تم تداوله في البيئة الإسلامية واتخذ دلالة الانفصال والبعد عن الهوية والثقافة الاسلامية وهذا ما ذكره ابن القيم في كتابه : الغربة والغرباء حيث نجد في كلامه المطول عن الغربة الدينية: " إن غربة الاسلام وقعت في أعصارنا المتأخرة كما حدثت في بداية البعثة النبوية، حيث أضحى المسلم غريبا بين أهله وإخوانه، منبوذا بين عشيرته الأقربين".[2]

يتحدث ابن القيم في كتابه " الغربة والغرباء" عن الغربة الدينية وهي نوع من أنواع الغربة، حيث مست القيم الإنسانية، وعبر فيها عن التشتت الديني، الذي يؤدي بالإنسان إلى غربة ذاتية تمس هويته الثقافية بصفة خاصة.

يقول أيضا: " الغرباء من الله ورسوله ودينه، غربتهم هي الغربة الموحشة، وإن كانوا هم المعروفين المُشار إليهم كما قيل:

---

[1] – عمرو بن مالك، ديوان الشنفرى، تح: ايميل بديع يعقوب، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت–لبنان، 1996، ص15.

[2] – ابن القيم الجوزية: الغربة والغرباء، ص5.

* **الصعاليك:** صعاليك هم جماعة من الشعراء الفرسان المتمردين في العصر الجاهلي، خرجوا على قبائلهم أو طُردوا منها لرفضهم قوانينها، وعاشوا حياة الترحال في الصحراء، معتمدين على الغزو والسلب للعيش.

فلَيْسَ غريباً مَن تَناءَتْ دِيارُهُ ولكِنَّ مَنْ تَنْأَيْنَ عنهُ غَريبُ "[1]

يذكر ابن القيم أن هذه الغربة "غربة الدين" لا تمثل إلا صفة الموحشة، فهي منبوذة، لأنها تمس الدين الاسلامي والابتعاد عن الله ورسوله.

ج-العصر الأموي:

في العصر الأموي، موضوع الغربة أخد بعدا سياسيا واجتماعيا، أكثر من كونه وجدان شخصي فقد: " كثر الشعر الذي يذكر الغربة والاغتراب والحنين إلى الأهل والأوطان، وقلما نجد شاعر يخلو ديوانه من ذكر الغربة والشكوى من النأي والبعد والشوق إلى الحبيبة والأهلين "[2]، تمثلت الغربة في العصر الأموي في غربة البكاء على الاطلال والشوق والحنين للديار نتيجة للظروف السياسية حيث صور الشعراء الألم النفسي الناتج عن العزلة المكانية والاجتماعية وحتى الذاتية.

"كان **قيس بن المُلوح***، أكثر الشعراء الذين عبروا عن مأساتهم من الغربة يقول:

وَمُغتَرِبٍ بِالمَرْجِ يَبكي لشَجوِهِ وَقد غابَ عَنهُ المسعِدونَ عَلى الحُبِّ

أبقى أسيرَ الحب في أرضِ غُرْبةٍ وحاديكُمُ يحدو بقلبيَ في الرَّكْبِ[3]

في البيت الأول يرسم صورة الشاعر المغترب الذي يبكي وحده على آلامه، والناس الذين كانوا يساعدونه على الحب قد غابوا عنه، أما في البيت فهو يصف نفسه أسيرا للحب، مسجون في أرض الغربة لا يستطيع الخلاص.

العصر الأموي كثر فيه النفي والإبعاد بسبب الصراعات السياسية، وعليه جاءت تجارب الشعراء ثرية بالتعابير الدالة على معاناتهم في الغربة.

---

[1] – ابن القيم الجوزية: الغربة والغرباء، ص65.

[2] – يحيى الجبوري: الحنين والغربة في الشعر العربي ص53.

[3] قيس بن الملوح: ديوان قيس بن الملوح (مجنون ليلى)، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، 1999م ، ص78.

* قيس بن الملوح العامري، الشهير بلقب "مجنون ليلى" (24 هـ / 645م – 68 هـ / 688م)، شاعر غزل عربي من أهل نجد، وأحد أبرز رموز الحب لعذري في التراث العربي.

د- **العصر العباسي:**

تجسدت مظاهر الغربة بأبعادها في كثير من الأشعار والتي لم تخرج عن السياقات التي مرت بها مظاهرها من قبل، نستشهد بقول المتنبي في ديوانه:

أحِنُّ إلى أهْلي وَأهْوَى لِقَاءَهُمْ وَأينَ مِنَ المُشْتَاقِ عَنقاءُ مُغرِبُ. [1]

الشاعر يصرح بشوقه الشديد أهله ولقائهم، وهذا حنين طبيعي للإنسان المغترب، وقد ضرب المثل بطير "العنقاء مغرب"، وهو طير نادر الوجود، يضرب به المثل في الاستحالة.

دلالة هذا البيت: أن الشاعر يحن لأهله ويشتاق إليهم في صورة شعرية تعبر عن صدق مشاعر الحزن التي يعيشها الشاعر متغربا بعيدا عن أهله وموطنه.

هـ- العصر الحديث

لم تخرج موضوعات الغربة عن نطاقها في العصر الحديث والمعاصر فما عانته الشعوب الحديثة من الاستعمارات والنزوح والحروب، أدت بالأدباء للحديث عن مشاعرهم من الغربة وتجلت في أشعارهم ورواياتهم وقصصهم، التي لم تخلو من الشوق والحنين إلى الوطن.

ومن أسباب الغربة في الشعر الحديث ما حدث من نفي للشعراء " لقد كانت غربة البارودي ونفيه، كذلك شوقي ونفيه إلى الأندلس- سببا لكثير من قصادهما حول الغربة، ما عُدَ بذورا للحديث حول الغربة في الشعر العربي الحديث" [2]، في العصر الحديث لم تعد الغربة مجرد حنين مكاني فحسب فالشاعر ابن بيئته يحكي واقعهم ويجسد آلامهم، فتحولت الغربة لحالة نفسية ووجودية تعبر عن الصراع الذاتي للشاعر وما يحيط به.

يقول محمد **الأخضر السائحي** في ديوانه:

---

[1] – أحمد بن حسين الجعفي المتنبي أبو الطيب: ديوان المتنبي، دار بيروت، بيروت، 1983م، ص307.

[2] – عباس حسن الحاوي: الغربة في الشعر العربي،(مجلة الآداب والعلوم الإنسانية)، لبنان، 19، يوليو 2019.

" جَلَستُ عَلى الصَخرِ الوَحيدِ وَحيدًا وَأَرسَلتُ طَرفي في الفَضاءِ شَريدًا

وَكَفكَفتُ دمعًا لا يُكَفكَفُ غَربُهُ وَواسيتُ قَلباً في الضُلوعِ عَميدًا" [1]

تعكس الأبيات صورة العزلة المطلقة التي شعر بها الشاعر، حيث إن تكرار كلمة "وحيد"، انعكاس لحالته، يمسح دمعه لكن الدمع لا يستطيع أن يمسح غربته، يعني هذا أن الألم أعمق من الدموع، ومنه تجسد الأبيات غربة وجودية نفسية، أكثر مما هي مكانية، فالشاعر يحس بالغربة حتى لو كان في وطنه، لأنها غربة الروح عن نفسها وعن العالم.

2-الغربة في السرد(فن الرواية):

ولم تقتصر ظاهرة الغربة على الشعر فقط بل هناك العديد من الروائيين العرب الذين تناولوها في مؤلفاتهم ومن بين ذلك نجد رواية(نهر الجنوب) لتوفيق حكيم فقد تجلت فيها مظاهر الغربة. فيذكر أن: " الشخص الذي كان يشرب من ذلك النهر كان يصاب بلوثة تجعله غريبا في نظر المجتمع الذي يهزأ منه وينبذه ويبتعد عنه... كان يعيش مغتربا عن ذلك المجتمع الذي ينتمي إليه"[2]، ما نلاحظه أن أسباب الغربة واحدة سواء شعرا أو نثرا، الوحدة، الابتعاد عن المجتمع لأسباب معينة كما ذكرت الرواية لسبب الاستهزاء أو نبذ المجتمع للشخص، فيصبح متغربا عن ذاته ومجتمعه ويفضل الوحدة والعزلة اي ما جسدته الرواية الغربة النفية والاجتماعية.

كما حفلت رواية سوناتا لأشباح القدس **لواسيني الأعرج** بمشاهد عديدة لظاهرة الغربة والاغتراب " انطلاقا من بنائها على عالمين متناقضين عالم الشرق (القدس) وهو الوطن أو الهوية، وعالم الغرب الذي يشكل فضاء الغربة والاغتراب، والبحث عن الهوية المفقودة فكان أن خلق هذه الثنائية المتنافرة أزمة وجودية تتعمق انعكاساتها، وتزداد كيان الشخصية المؤثرة لهذا العمل، والحاملة لجراح الوطن والغربة واغتراب المنفى، إنها أزمة تشظي الهوية بين هذين العالمين

[1] – محمد الأخضر السائحي: الديوان، "همسات وصرخات"، المطبوعات الوطنية، الجزائر، 1965، ص47.

[2] – أحمد مشاري العدواني: الاغتراب، (مجلة فكر)، مجلد العاشر، ع1، الكويت، 1979م، ص12.

المتناقضين"[1] ، تحضر ثنائية المنفى والوطن لمخيلة الكاتب بحثا عن الهوية الضائعة، في ثنايا بلد المتغرب، حنين إلى الوطن، فالغربة هنا مكانية ونفسية يعبر فيها الكاتب عن ألم الغربة وشعور الحزن من خلال شخصيات الرواية.

المبحث الثاني: أنواع الغربة وأبعادها

الغربة مصطلح يحمل قضية تم تناولها من قبل الأدباء والفلاسفة والمفكرون، بالبحث والاستقصاء، وقد عانى الإنسان والمثقف خاصة من الغربة فاتسمت ردود أفعاله بين الانسحاب من واقعه الأليم، والهجرة والبحث عن ذاته، وفرص جديدة للحياة فكان لهذه الغربة أنواع انقسمت حسب الظروف والاسباب التي آلت بالإنسان للتغرب، والشعور بها، والحديث عنها، كما كان لها أسباب ودوافع، وكذلك أبعادها ومظاهرها.

المطلب الأول: أنواع الغربة

للغربة أنواع عديدة، انقسمت بحسب اتجاهات أصحابها لأسباب معينة، فظهرت لنا غربة اجتماعية ، نفسية(ذاتية)، دينية...الخ.

1- غربة المجتمع (الغربة الاجتماعية)

من بين الأنواع الشائعة عن ظاهرة الغربة هي الغربة الاجتماعية وفي تعريفها: " تُعد العزلة الاجتماعية سبب من أسباب الغربة ومظاهرها شعور الفرد بالوحدة والفراغ إن وجد النفسي والافتقاد إلى الأمان والعلاقات الاجتماعية الحميمية والبعد عن الآخرين حتى وبينهم، ويصاحب العزلة الشعور بالرفض الاجتماعي والانعزال عن الأهداف الثقافية للمجتمع، والانفصال بين أهداف الفرد

[1] – عبد العالي قمرة: الغربة والاغتراب البحث عن الهوية في رواية سوناتا لأشباح القدس، لواسيني الأعرج، (المجلة العلمية حوليات الآداب واللغات) مجلد 1، عدد1، جامعة باتنة، الجزائر، 2013م، ص3

وقيم المجتمع ومعاييره "[1]، ارتبطت الغربة الاجتماعية بانعزال الفرد عن مجتمعه والابتعاد عن موطنه سواء كان السبب هو رفض معايير المجتمع من عادات وتقاليد أو من أجل أهداف أخرى.

ويمكن أيضا أن تقتصر الغربة الاجتماعية بفقد الصالحين وفي هذا يذكر الجاحظ أن "من أصدق الشواهد في حب الوطن أن يوسف عليه السلام لما أدركته الوفاة أوصى أن تُحمل رمّتُه إلى موضع مقابر أبيه وجَده يعقوب إسحاق وإبراهيم عليهم السلام؛ وفي ذلك دليل علىّ حب الوطن والرغبة في العودة إلى الموطن الأصلي حتى لو كان بعد الموت "[2]، يتضح من خلال الجاحظ أن حب الوطن ليس مجرد انتماء مكاني، بل هو قيمة راسخة متوارثة، إذ يستشهد الكاتب بموقف الأنبياء إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف عليهم السلام، الذين أوصوا بدفنهم في أرض الوطن رغم موتهم في الغربة، فذلك يدل على أن الوطن يمثل البعد الرمزي للهوية والانتماء، وأن العودة إليه، ولو بعد الموت، تظل أمينة راسخة في الوجدان.

وفي حديثنا عن الغربة الاجتماعية نجد أن أدباءنا العرب قد حفِلت أشعارهم فعبروا عن أحاسيسهم وكتبوا ما شعروا به ومن أمثلة ذلك نذكر قول الشاعر:

" تَغَيَّبتُ في مَنزِلي بُرهَةً سَتيرَ العُيوبِ فَقيدَ الحَسَد
فَلَمّا مَضى العُمرُ إِلّا الأَقَلَّ وحم لروحي فراق الجسد
بُعِثتُ شَفيعاً إِلى صالِحٍ وذاك من القوم رأي فسد" [3]

ذكر الشاعر غربته عن منزله وقومه، كمثال لعزلة اجتماعية سببها الابتعاد والانفصال عن قوم فاسد فهو يرى أن العزلة مخرجه لعالمه الوحيد والصالح بعيدا منعزلا عن عالم فاسد في نظره.

[1]– يحي الجبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي الحنين إلى الاوطان، ص19.

[2]– عمرو بن بحر الجاحظ: الحنين إلى الأوطان، ط2، دار الرائد العربي للنشر، بيروت– لبنان، م1982 ، ص 42

[3] – أبو العلاء المعري: لزوم ما لا يلزم (اللزوميات)، ج1، دار صادر، بيروت– لبنان، (د.ت)، ص 456.

فلاريب أن الغربة الاجتماعية أو غربة المجتمع نتجت وبرزت من خلال تفشي الخلل الاجتماعي الذي عايشه المرء في مجتمعه في مرحلة زمنية معينة، فيتولد لدى الفرد الشعور بالغربة وفقدان الانتماء، كذلك تحدث الغربة الاجتماعية بسبب فقدان الهوية والنفي.

2- غربة المكان:

وتتمثل غربة المكان كما ذكر عبد الرزاق الخشروم" فقد تترك قبيلة موطنها بحثا عن موطن آخر تتوافر فيه أسباب حياتها ومواشيها. وتخلف وراءها أرضا وأناسا وذكريات، أو يذهب الشاعر بعيدا عن قومه وموطنهم، فيذكر الوطن وساكنيه في غربته أو موطنه الجديد. فهذه غربة فرضتها طبيعة الحياة وهي خارجة عموما عن إرادة الإنسان ".[1]

في غربة المكان تمتزج مشاعر الحزن والالم والبعد والفراق ، حيث يتجلى الحنين الى الوطن، ولذلك نلاحظ أن معظم الشعراء منذ العصور القديمة وظفوا غربة المكان من خلال بثهم لمشاعر الحزن والبكاء على الطلال ،على الديار، على الأهل، فهي غربة تتعلق بفقدان الجذور والانتماء.

كما يقول ابن القيم في هذا النوع :" الغربة عن الوطن، فإن الناس في هذه الدار غرباء، فإنها ليست لهم بدار مقام، ولا هي الدار التي خلقوا لها "[2]، يتحدث ابن القيم عن دار الفناء والخلود، فتتعدد الأسباب حول الغربة المكانية، لكن غربة المكان في الحقيقة متجذرة في نفس الإنسان لأنه ليس بدائم فيها، وكلنا غرباء.

ومن أمثلة الشعر عن غربة المكان نجد:

لله من وَطَنٍ قلبي لَهُ وطنٌ يَبلى وأَبلى وَمَا تبلى فجائِعُهُ

[1] – عبد الرزاق الخشروم: الغربة في الشعر الجاهلي، ص15.

[2] – ابن القيم الجوزية: الغربة والغرباء، ص 72– 73.

لا يسأَمُ الدَّهْرُ من شَوقٍ يُطالِعُني مِنهُ ومن زَفرةٍ منّي تُطالِعُهُ

فطالَما قَصَّرَتْ لَيلي مَقاصِرُهُ لَهواً وَمَا صَنَّعت صُبحي مَصانِعُهُ[1]

يروي الشاعر حنينه وشوقه لوطنه فالدهر لا يسأم من شوقه يطالع به وطنه عبر أحاسيس تختلج نفسه وتجعل منها سطور تعبر عن غربة مكانية عند الشاعر ابن دراج القسطلي.

3- الغربة النفسية (الذاتية):

جاء في تعريف الغربة النفسية " لقد ميز فروم بين الذات الأصلية والذات الزائفة على أساس أن الذات الأصلية ترادف مفهوم الذات غير المغتربة التي حققت وجودها الحقيقي المتكامل، فصاحبها مفكر وقادر على الحب والإبداع، أما الذات الزائفة فهي الذات التي اغتربت عن نفسها وعن وجودها الإنساني الأصيل "[2]، هذا القول لإيريك فروف وهو عالم فيلسوف ألماني، حيث يميز فروم بين الذات الزائفة الأصلية المتحققة بالحب والإبداع، والذات المغتربة عن جوهرها.

فالغربة النفسية هي شعور بالانفصال عن الذات ومنه فقدان المعنى من الوجود، يتميز المغترب النفسي بالقلق والاكتئاب والاحساس بالفراغ فيزداد إحساسه بالغربة.

ومن مظاهر الغربة النفسية في الشعر نستشهد بقول الشاعر محمود درويش:

نلاحظ أن الشاعر لم يعبر عن عزلته خارج المجتمع أو المكان أو الوطن، بل هو شعور ذاتي نفسي يشعر الشاعر بالوحدة فيرى أن أنيسه فيها قهوته، بعض السجائر، بدلا من الأصدقاء والأحبة، فالغربة النفسية هي الشعور بالوحدانية، والدليل على غربة الشاعر هنا الألفاظ التي أوردها محمود درويش بقوله:(وحيدا، أخسر حياتي..هاهنا).

[1] – محمود علي مكي: ديوان ابن دراج القسطلي، ط1، منشورات المكتب الإسلامي، دمشق، سوريا، 1961م، ص138.

[2] – عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الاغتراب،(د. ط)، دار . الغريب للطباعة و النشر و التوزيع القاهرة– مصر، 2008، ص82

4-الغربة الدينية:

تعد الغربة الدينية نوع من أنواع الغربة، وهي مرتبطة بالدين والاسلام والخروج عنه والابتعاد عنه وعن الحق وعن قول الله ورسوله.

خير ما نستشهد به في حديثا عن الغربة الدينية قول الرسول عليه الصلاة والسلام " في نص الحديث : إن الاسلام بدأ غريبا، وسيعود غريبا كما بدأ ، فطوبي للغرباء " [1]

يقول ابن القيم عن الغربة الدينية: "هي غربة أهل الباطل وأهل الفجور بين أهل الحق، فهي غربة بين حزب الله المفلحين"[2]، فحينما تصبح **السنة*** غريبة و**البدعة*** مألوفة، والابتعاد عن الحق، والقول السديد، وعن القرآن الكريم تنشأ الغربة الدينية فابتعاد الفرد عن دينه، فتنتشر البدع ويتغنى بها الناس، ويفتن بالشهوات ويبيعون دينهم، وبذلك يصبح دينهم غريبا وتصبح مقاومة الشهوات والضلالات أمرا شاقا، فوصف المسلمون بالغربة عن دينهم.

ويذكر عن " أحاديث كثيرة وآثار بما سيقع في آخر الزمان عن اشتداد غربة الاسلام والسنة وتغير الأحوال، وظهور النقص في أمور الدين، وكثرة الفساد. "[3]، ومعنى هذا ما أكده رسول الله صلى الله عليه وسلم عن غربة الدين في بدايته ونهايته، فكما بدأ الاسلام غريبا سوف ينتهي غريبا، وأسباب ذلك راجعة لفساد الأمة، وضياع الرشد الديني، وعدم الالتزام والخروج عن المرجعيات الدينية.

---

[1] – ابن القيم الجوزية: الغربة والغرباء، ص11.

[2] –المرجع نفسه، ص73.

[3] – حمد بن عبد الله التويجري:غربة الإسلام، تح: عبد الكريم بن حمود الويجري، ط1، دار الصميعي للنشر، المملكة العربية السعودية، 2010م، ص30.

***السنة:** وتعد المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم. تشمل السنة أحكاماً شرعية، وآداباً، وتفسيراً للقرآن، وتعتبر منهج حياة يقتدي به المسلمون

***البدعة:** هي كل طريقة مخترعة في الدين تُضاهي الشرعية، يُقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله، ولم يكن عليها النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته

ومن مظاهر الغربة الدينية في الشعر نجد: " **يحيى بن يوسف الصرصري*** نظم حسن يصف فيه غربة الإسلام في زمانه، وهو يليق بأواخر القرن الرابع عشر أكثر مما يليق بالقرن السابع. قال رحمه الله تعالى:

نُحْ وَابْكِ فَالمَعْروف اقفر رَسْمَهُ وَالمنكر استعلى وأثر وَسْمَه

لَمْ يَبقَ إلا بِدْعة فَتَّانة بِهَوَى مُظِل مستطير سمه

وطَعَامُ سُوءٍ مِنْ مَكاسبَ مرة يَعْمِي الفُؤادَ بِدَائِهِ ويصمه

فَفشا الرّياء وغَيبةٌ ونَمِيمَةٌ وَقَساوةٌ مِنْهُ وأثمر إِثْمِهُ"[1]

يتبين لنا من خلال الأبيات الشعرية يحي بن يوسف لصرصري، أن الغربة هي غربة القيم والمبادئ هي إحساس المؤمن بالوحشة، وقد لخصها في ثنائية صادمة غياب الحق "أقفر رسمه" وظهور الباطل "استعلى وسمه" فالمؤمن المتمسك بدينه الأصيل يصبح غريبا منبوذا في عالم تسوده البدعة الفتانة، والرياء والغيبة، فيعيش في حالة من العزلة الوجدانية والأسى الدائم على دين يراه يضيع بين يديه.

5-الغربة السياسية:

ويقصد بالغربة السياسية" شعور الفرد بالعجز إزاء المشاركة الايجابية في الانتخابات السياسية المعبرة بصدق عن رأي الجماهير، وكذلك الشعور بالعزلة عن المشاركة الحقيقية الفعالة في صنع القرارات المصيرية المتعلقة بمصالحه واليأس من المستقبل على اعتبار أن رأيه لا يسمعه أحد وإن سمعه لا يهتم به ولا يأخذ به".[2]، ومعناها أن الغربة السياسية نتيجة لشعور الفرد بعدم

[1] – حمد بن عبد الله التويجري: غربة الإسلام، ص28

[2] –عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص80-81.

***يحيى بن يوسف بن يحيى الأنصاري**، أبو زكريا، جمال الدين الصرصري. (588هـ — 656هـ / 1192م — 1258م) شاعر، من أهل صرصر (على مقربة من بغداد) سكن بغداد، صاحبُ الديوان السائر في الناس في مدح النبي – ﷺ –، كان حسان وقته.

الانتماء السياسي لبلده والتجرد من حقوقه في المشاركة في اتخاد أو صنع قرار خاص ببلده، يشعر الفرد بغربة سياسية والتي هي من حقه، فيحس بضياع مستقبله وأنه لا جدوى له ولا لرأيه وأن السلطة الحاكمة هي التي تسيطر عليه.

" ومن مشاهد الغربة السياسية ضياع الكرامة والحقوق والقيم الإنسانية، في مشهد الاحاطة والاعتقال، والاقتياد من دون مسوغ وسبب، وهذه المشاهد التي أسقطها الشاعر ليبرهن من خلالها على غربة عميقة ومرارة تتفطر بها الأكباد، فالظلم قد لون كل شيء بلون السواد والظلمة "[1]، فالغربة في هذا السياق تتحول إلى حالة من المعاناة النفسية والاجتماعية نتيجة لما يعترض له المغترب من احتراق وإذلال وانتهاك لحقوقه الأساسية. ومن أسباب الغربة السياسية ما يحدث من سلب للحقوق المدنية للفرد، حقه في التعبير، في الحرية، في الكرامة، الظلم والاعتقال التعسفي، فالمغترب يجد نفسه في مواجهة واقع يفتقد فيه إلى الحماية القانونية والاجتماعية، ويعامل أحيانا بمنطق التمييز والاستغلال، مما يعمق احساسه بالغربة ويزيد من مرارة تجربته.

المطلب الثاني: أسباب الغربة وأبعادها

1-أسباب الغربة

أسباب الغربة متعددة وتتشابك بين عوامل عديدة، فتشمل الشعور بالضياع، الفقدان، الألم، الحنين إلى الوطن، مما يدفع الشاعر للعزلة والتعبير عن هذا الألم العميق في قصائده التي تتناول أنواعا مختلفة من الغربة.

- "ضغوط البيئة الاجتماعية والفشل في مقابلة هذه الضغوط.
- مشكلة **الأقليات** *ونقص التفاعل الاجتماعي والاتجاهات الاجتماعية السالبة والمعاناة من خطر التعصب والتفرقة في المعاملة.

[1] – عبيدة الشبلي: شعر الغربة عن الوطن بين القديم والحديث، (د. ط)، مركز حمرون للدراسات المعاصرة، الدوحة–قطر، 2018م، ص36.

***الأقليات:** هي مجموعات من الناس داخل مجتمع أكثر، تختلف عن الأغلبية في شيء ما مثل اللغة الدين، أو الثقافة.

– تدهور نظام القيم وتصارع القيم بين الأجيال".[1]، تأتي الغربة نتيجة لضغوط الحياة والمشاكل التي يواجهها الفرد في حياته اليومية، كذلك الفروق المعيشية ومشكلة الطبقات الاجتماعية أيضا، وانحطاط القيم الإنسانية.

كما ذكر يحيى الجبوري عن أسباب الغربة" أسباب الغربة أيضا الزواج في غير القبيلة والبعد عن الأهل والديار، أو خلع المتمردين الخارجين عن العرف والتقاليد، وكان للحروب والفتن الداخلية وما نتج عنها تشتت وقسوة وبطش أثر في شعور الفرد بأنه غريب مطارد منبوذ، كل ذلك وغيره كان من أسباب الشعور بالغربة""[2].

مما سبق ذكره نستطيع أن نلخص أسباب الغربة والكتابة فيها إلى: البعد عن الديار، والوطن، والهجرة سواء كانت قصرية، أو قصدية، كذلك الفقر والحاجة فهي من الاسباب التي دفعا الشعراء قديما وحديثا الر الرحيل والانتقال الى الاقاليم التي يتواجد فيها الرزق والأمان، الأسباب النفسية أيضا دافع في الغربة فشعور الفرد بالعزلة والوحدة والغرابة في مجتمعه يخلق منه شخص مغترب في ذاته قبل هجرة جسده، كما كانت الحروب موجودة منذ الأزل لازالت لليوم من الاسباب العظيمة التي أدت بالفرد بالغربة بكل أنواعها سواء غربة المجتمع والبعد عن الامكنة وكذلك الغربة الدينية نتيجة دخول ثقافات أخرى، وغربة اللغة وكل ذلك بسبب الحروب واختلاط الشعوب والثقافات ما ينتج عنه تشتت واضح.

2– أبعاد الغربة.

وللغربة أبعاد ومظاهر ذكرها علماء النفس والاجتماع ، وقد أجملت في مجموعة من المظاهر أساسية وهي العجز، واللامعنى، واللامعيارية، والعزلة الاجتماعية، والاغتراب عن الذات...

[1] – جديدي زليخة: الإغتراب، (مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية)، عدد 8، جامعة وادي سوف الجزائر، 2012، ص355.

[2] – يحيى الجبوري: الحنين والغربة في الشعر العربي، ص53.

1- العجز Powerlessness

يعد العجز من المفاهيم المركزية التي فسرت كثيرا من ظواهر الشعور بالغربة في التجربة الإنسانية وهو: " شعور الفرد بأن لا حول له ولا قوة، ولا يستطيع التأثير في المواقف الاجتماعية التي يواجهها، ويعجز عن السيطرة على تصرفاته وأفعاله ورغباته ولا يستطيع أن يقرر مصيره، ومن ثم يعجز عن تحقيق ذاته أو يشعر بحالة من الاستسلام والخنوع . والعجز وفقدان القدرة هو توقع الفرد بأنه لا يملك القدرة على التحكم وممارسة الضبط، لأن الأشياء حوله تسيطر عليها ظروف خارجية أقوى منه، ويتولد لديه شعور بالعجز والإحباط وخيبة الأمل في إمكانية التغيير"[1].

يشير مفهوم العجز إلى الحالة التي يشعر فيها الفرد بفقدان القدرة على التحكم في ظروف حياته واتخاذ القرارات المتعلقة بمصيره، فالشخص الذي يعاني من العجز يدرك أنه لا يملك القة الكافية للتأثير في الواقع الاجتماعي أو تغييره ، ولا يستطيع ضبط أفعاله وتصرفاته بما يتوافق مع إرادته، أي أن الإنسان يفقد السيطرة على تصرفاته فيشعر بحالة من الغربة الشعورية التي تفقده الحماس والقوة، فيعتبر العجز أحد الأبعاد والدوافع التي جعلت الشعراء يكتبون بحالات الغربة.

2- اللامعنى Meaninglessness

يمثل اللامعنى أحد الأبعاد النفسية العميقة لغربة " ويقصد به الفرد يرى أن الحياة لا معنى لها، وأنها تسير وفق منطق غير معقول ومن ثم يشعر المغترب أن حياته عبث لا جدوى منها، فيفقد واقعيته، ويحيا نهبا لمشاعر اللامبلاة والفراغ الوجداني".[2] ومن هذا يرى الشخص المغترب أن الحياة لا معنى لها، لأنها تسير وفق منطق غير مفهوم وغير معقول، ومن ثم يعيش حياة التفاهة واللامبالاة فيعبر عما يعيشه من غربة مكان أو ذات أو زمان.

3- اللامعيارية Normlessness

تشير اللامعيارية إلى حالة انهيار المعايير والقيم التي تضبط سلوك الفرد داخل المجتمع وهي: " حالة تصيب المجتمع، أي حالة انهيار المعايير التي تنظم السلوك وتوجهه، وهي كما

---

[1] يحيى الجبوري: الحنين والغربة في الشعر العربي ، 18.

[2] ابراهيم عيد: علم النفس الاجتماعي، ط1، مكتبة زهراء الشرق، مصر ، 2000م، ص227.

يقول (سيمان): الحالة التي يتوقع فيها الفرد بدرجة كبيرة أن أشكال السلوك التي أصبحت مرفوضة اجتماعياً، غدت مقبولة تجاه أية أهداف محددة، أي أن الأشياء لم يعد لها أية ضوابط معيارية، ما كان خطأ أصبح صواباً، وما كان صواباً أصبح ينظر إليه باعتباره خطأ من منطلق إضفاء صبغة الشرعية على المصلحة الذاتية للفرد وحجبها عن المعايير وقواعد وقوانين المجتمع".[1]

إذا اللامعيارية هي أن يرفض الفرد معايير المجتمع وقوانينه، ولا ينصاع لها، وقد لاحظنا مسبقا ما حدث مع الصعاليك في العصر الجاهلي، حيث أنهم رفضوا الانصياع لقوانين المجتمع وتمردوا عليها، وعليه جاءت غربة المجتمع والقيم الاجتماعية وكتب في تلك الغربة العديد من الشعراء الصعاليك وغيرهم.

4- العزلة الاجتماعية Social Isolation:

تعد العزلة الاجتماعية من أبرز مظاهر الغربة، وتعني: " انسحاب الفرد وانفصاله عن تيار الثقافة السائدة في مجتمعه مما يجعله يشعر بالانفصال عن الآخرين والاحساس بعدم الانتماء واللامبالاة بطريقة يشعر فيها الفرد بأنه وحيد منفصل عن نفسه ومجتمعه " [2]، فالفرد الذي يعاني من العزلة يشعر بعدم الانتماء وبعدم القدرة على التواصل والمشاركة في الحياة الاجتماعية التي يعيشها من حلوه، فالعزلة تؤدي إلى الشعور بالوحدة، والاكتئاب وهي بعد من أبعاد الغربة.

5-غربة الذات

تعتبر غربة الذات أعمق أبعاد الغربة، لأنها لا تتعلق ببعد مكاني أو اجتماعي بقدر ما تتعلق بانفصال الإنسان عن نفسه: " هي شعور الفرد بالرفض والكراهية لكل ما يحيط به مما يدعوه لممارسة العنف ووجود نزعة تدميرية تتجه إلى خارج الذات في شكل سلوك عدواني، وأخرى تتجه إلى داخل الذات في شكل عزلة ونكوص وعدوان موجه إلى الذات"[3]، يشير اغتراب الذات إلى الحالة التي يفقد فيها الفرد انسجامه مع ذاته، فيصبح غريبا عن مشاعره ورغباته وقيمه

[1] – يحي الجبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي، ص 19.

[2] – محمد عباس يوسف، الاغتراب والابداع النفسي، دار غريب للطباعة والنشر، مصر، 2005، ص38.

[3] – يحي الجبوري: الحنين والغربة في الشعر العربي، ص19.

الحقيقية، فبدل أن يعيش الفرد وفقا لما يمليه عليه كيانه الداخلي، يجد نفسه مدفوعا للعيش وفق معايير خارجية تفرضها البيئة الاجتماعية والثقافية. أي عدم قدرة الفرد على التواصل مع نفسه، وشعوره بالانفصال فيشعر بالاغتراب عندما لا يستطيع التحكم بأفعاله.

5-التمرد:

يمثل التمرد رد فعل على حالة الغربة، وهو" شعور الفرد بالبعد عن الواقع ومحاولته الخروج عن المألوف والشائع، وعدم الانصياع للعادات والتقاليد السائدة والرفض والكراهية والعداء لكل ما يحيط بالفرد من قيم ومعايير، وقد يكون التمرد على النفس أو المجتمع بما يحتويه من أنظمة ومؤسسات أو على موضوعا وقضايا أخرى"[1]، يقوم التمرد على شعور الفرد بالبعد عن الواقع ومحاولته الخروج عنه، وهو يتجلى في رفض المألوف والشائع، وعدم الانصياع للعادات والتقاليد السائدة، والوقوف بموقف الرفض والكراهية لكل ما يحيط بالفرد من قيم ومعايير.

كما يشير إلى أن الفرد فقد إحساسه بهويته " أما أن ينظر الانسان إلى ذاته كما لو كانت شيئا أو سلعة يطرحها للبيع في سوق الحياة، فهذا اغتراب سلبي أو هو على الأصح تشيؤ يفقد الانيان فيهومن خلاله ذاته ووجوده الأصيل "[2]، فالتمرد هنا ليس مجرد عصيان عشوائي، بل هو موقف وجودي يتخذ منه الفرد وسيلة لاستعادة ذاته ورفض أن ينظر إليه كشيء أو سلعة تطرح للبيع في سوق الحياة، فإما أن يتحول إلى اغتراب سلبي يفقد فيه الانسان ذاته، أو إلى اغتراب إيجابي يثبت فيه الإنسان وجوده الأصيل من خلال ذاته.

6- التشيؤ:

يعد التشيؤ أحد أبرز أبعاد الغربة، فيرتبط بها ارتباطا مباشرا، لأن المغترب عندما يفقد انتماءه ويفشل في تحقيق ذاته، يبدأ بالنظر إلى نفسه بعين باردة موضوعية، وعليه فالتشيؤ هو "أن الفرد قد تحول إلى موضوع وفقد احساسه بهويته، ومن ثم بأنه مقتلع حيث لا جدور له تربطه

[1] عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص42.

[2] بشرى علي: مظاهر الاغتراب لدى الطلبة السوريين في بعض الجامعات المصرية، (مجلة جامعة دمشق للعلوم التربوية والنفسية)جامعة دمشق-العراق، مجلد 24، ع1، 2008، 519

بنفسه أو بواقعه"[1]، ومعنى هذا أن يتحول الفرد من ذات حية واعية إلى شيء موضوعي يعامل كسلعة، فيفقد الإحساس بانتمائه لذاته وبعنق وجوده، ويعيش حالة اغتراب ليس له هوية أو أصل.

المطلب الثالث: السياق التاريخي والثقافي لتجربة محمد ديب.

لا يمكن الإحاطة بشعر محمد ديب، وفهم أبعاده الفنية والدلالية دون الرجوع إلى سيرته الذاتية واستحضار الخلفيات الثقافية والتاريخية التي أسهمت في تشكيل تجربته الأدبية . فدراسة النصوص بمعزل عن سياقها تُفقدها كثيرًا من معانيها، لذلك ينبغي أخد المرجعية التاريخية والثقافية بعين الاعتبار .

فيما يخص سيرة ذاتية لمحمد ديب: ولد محمد ديب في مدينة تلمسان يوم الحادي والعشرين من جويلية سنة ألف وتسعمائة وعشرين ميلادي، وتوفي في ضاحية saimt–cloud بباريس بتاريخ الثاني من ماي سنة ألفين وثلاثة ميلادي . نشأ في بيئة بسيطة، وقد فقد والده سنة ألف وتسعمائة وواحد وثلاثين، وهو ما أثر في مسار حياته مبكرًا . تلقى تعليمه الأول في تلمسان، ثم واصل دراسته بمدينة وجدة في المغرب. ومنذ سنة ألف وتسعمائة وأربعة وثلاثين بدأت تظهر ميوله الأدبية والفنية، حيث شرع في كتابة الشعر وممارسة الرسم التشكيلي. عمل في سلك التعليم الابتدائي خلال الفترة الزمنية الممتدة من ألف وتسعمائة وأربعين، قبل أن يتحول إلى مهنة المحاسبة في وجدة. وخلال الحرب العالمية الثانية اشتغل مترجمًا بين اللغتين الفرنسية والإنجليزية لدى قوات الحلفاء في الجزائر ما بين ألف وتسعمائة وثلاثة و أربعين وألف تسعمائة وأربعة وأربعين . وعاد بعد ذلك إلى تلمسان سنة ألف وتسعمائة وخمسة وأربعين . واشتغل في مجال النسيج ثم نشر أولى قصائده سنة ألف وتسعمائة وستة وأربعين، في مجلة les lettre السّويسرسة، باسم مستعار "ديابي" . وبعد ذلك تعرف على أدباء مثل ألبير كامو وجان سيناك

[1] محمود رجب: الاغتراب سيرة مصطلح، ط3، دار المعرف، القاهرة– مصر، ، 1988، ص58.

،مما ساهم في تطوير تجربة الأدبية، كما سافر إلى فرنسا واشتغل في الصحافة. وفي سنة ألف وتسعمائة وواحد وخمسون ، تزوج من Colette bellissant وأنجب منها أربعة أطفال[1].

تبين لنا من خلال السيرة الذاتية، لمحمد ديب بأن بداية التجربة الشعرية له، لم تكن وليدة الصدفة ،بل بدأت في سن مبكر، حيث كان عمره أربعة عشر عامًا، وهو ما يدل على موهبة ووعي فني يشكل منذ الطفولة. كما أنه نَشر أول قصيدة في مجلة معروفة وهو في سن ستة وعشرين سنة بالإضافة إلى انخراطه في عدة مجالات منها الفنون التشكيلية ،والمحاسبة و الترجمة ،وهدا يُعد دليلاً واضحًا على تجربته رغم صغر سنه.

1_ أهم أعماله :

يعد سجل محمد ديب حافلاً، بجملة من الأعمال الأدبية ، والتي خلدت اسمه في تاريخ الأدب العالمية ثقافية عديدة منها الروايات والقصص القصيرة ، ومسرحيات ، ودواوين شعرية أهمها:

أ_ الروايات :

تتمثل روايات محمد ديب في :

- ثلاثية الجزائر،(الدار الكبيرة 1952–الحريق 1954–النول1957)،
- صيف إفريقي (1959) ،من يذكر أليم(1962)
- سيرورة على الشاطئ المتوحش (1964)
- رقصة الملك(1968،الإله عند البرابرة (1970)
- وكيل الصيد(1973)
- هابيل (1977)

[1] ينظر مبارك وساط: محمد ديب... الروائي الشاعر، مقال عبر المجلة الثقافية الجزائرية، الموقع الإلكتروني، www. Thakafamag.com ، أطلع عليه يوم: 17 أفريل 2026.

- ثلاثية الشمال (أسطح أورسول (1985)
- إغفاء حواء (1989)
- ثلوج من رخام (1990)
- الصحراء بكل صراحة (1992)
- الأميرة الإسبانية المغاربية (1994)
- إن شاء الشياطين (1998)
- رحلة لوس أنجلوس (2003)

مما سبق ذكره، ومن خلال الروايات المذكورة، نلاحظ بداية كتابة الروايات قبل الاستقلال ونهايتها بعد الاستقلال وأيضا تنوع في الأعمال الروائية عند محمد ديب والتي تتحدث في مضمونها عن تراث الجزائر والوضع السياسي للبلاد والمستعمر الفرنسي والظواهر الإنسانية وواقع المجتمع الجزائري.

ب _المجموعات القصصية:

تنوعت كتابات محمد ديب في مجال القصص والمسرحيات ومجموعات الشعرية والتي جاءت عناوينها على النحو التالي:

- في المقهى (1955)
- الطلسم (1966)
- الليل المتوحش (1995)
- مثل دوي النحل (2001).

ج _ قصص الأطفال:

بابا فكران (1959)،القط الحارد (1974)،سالم والساحر (2000)البرنيق الذي يعتقد أنه قبيح الشكل (1980)

د_المسرحيات:

ألف تحية لصعلوكة (1980)،(خطبية الربيع)

هـ_ المجموعات الشعرية:

- ظل حارس (1961)
- صيغ(1970)
- كل الحب(1975)
- نار يا نار جميلة (1979)
- مياه جارية(1987)
- فجر إسماعيل (1996)

طفل الجاز (1998)."[1]

نلاحظ مما سبق ذكره أن محمد ديب موسوعة فكرية هائلة، فقد تنوعت أعماله الأدبية حتى شملت مجموعة من القصص منها قصص الأطفال، والتي كتبت قبل الاستقلال، وحتى بعده، تتحدث في مجملها على الواقع الاجتماعي المعيش في الجزائر، مما عاشته من ظلم واضطهاد واستبداد وسلب للحقوق، وقد ألف محمد ديب مسرحيتين بعد الاستقلال، حيث برز فيها الطابع الرومانسي، وأيضا أصدر ديوانا بعنوان ظل حارس يحمل مجموعة من القصائد الشعرية، والتي تحتوي على مضامين مختلفة من حياته في المنفى، الواقع الجزائري، الوضع السياسي، ونشر له ديوان فجر إسماعيل بالإضافة إلى مجموعة أخرى من القصائد جاءت بعد الاستقلال أيضا، تشير عناوينها إلى الطابع الرومانسي، الوجودي، والواقعي.

2_الجوائز والأنشطة:

كان لمحمد ديب نصيب من الجوائز نتاج أعماله المتفردة وهي: "عام 1963 نال في الجزائر جائزة الدولة التقديرية ، للآداب برفقة الشاعر محمد العيد آل خليفة ، وكان أول كاتب مغاربي يحصل على الجائزة الفورنكفونية، وذلك عام 1994 حيث تسلمها من الأكاديمية الفرنسية تنويها بأعماله السردية والشعرية. كما يعد محمد ديب عضوا نشطا في عدة ورشات

[1] ينظر. مريزق قطارة: حياة وأعمال محمد ديب، ص 291.

وحلقات علمية في الجامعات الأوروبية والأميركية التي تهتم بالأدب بصفة عامة والرواية المغاربية بصفة خاصة"[1]

نلاحظ أن محمد ديب حظي بتقدير داخل وطنه (جائزة الدولة التقديرية في الجزائر عام1963)، وبالتوازي مع ذلك نال اعترافا عالميًا رفيعًا وهي الجائزة **الفرنكوفونية*** من (الأكاديمية الفرنسية عام 1994)، وقد سُجل له أنه أول كاتب مغاربي يحصل على الجائزة الكبرى، مما جعله رمزا لكسر الحاجز الأقاليمي نحو العالمية . مما أدى تنوعه في الإنتاج الأدبي على جوائز لم تمنح عن فن واحد بل عن كامل أعماله السردية والشعرية ، ولم يكتف بالتأليف، بل عن كان له حضور علمي، فاعل في الجامعات عالمية أوربية وأمريكية لهذا أُعتبر محمد ديب من أهم الشخصيات التي ذكرت في المجالس العلمية الأوروبية و الندوات الجامعية التي اهتمت بأعماله الأدبية، واستفادت من خبراته ومعارفه.

خلاصة الفصل

في الأخير إن الغربة ليست مصطلح أرخ له فحسب وإنما هي ظاهرة أدبية شاملة للوجود فهي رفيقة الشاعر والاديب عبر العصور، فقد ظلت موضوعا لازم الشعر والنثر في مراحله العديدة، وقد بات واضحا أن شعور الفرد بالغربة كان نتيجة لأسباب عديدة نفسية واجتماعية وسياسية، تتقاطع لتنتج تجربة إنسانية معقدة، كانت وما تزال مصدرا خصبا للتأمل والإبداع، وقد كان الشعر المتنفس الذي يبث فيه الشاعر آلامه، أحاسيسه، تحدياته، لتنتج لنا صورة حول نوع الغربة التي عاشها الفرد، وقد كان شعرهم مرآة نفوسهم التي تعبر عن واقعه وبيئتهم رغم اختلاف البيئة والاسباب إلا أن أبعادها واضحة، وعليه فإن دراسة الغربة تقتضي تجاوز الفهم السطحي باعتبارها حالة جغرافية، إلى مقاربتها كظاهرة نفسية وفكرية تعكس صراع الإنسان مع ذاته ومع العالم، ومن هنا تكتسب أهميتها في الأدب، لما توفره من مادة خصبة للتعبير عن القلق الوجودي والبحث عن المعنى والهوية.

---

[1]– ينظر. سيدي أحمد بن أحمد سالم: الأديب الجزائري محمد ديب.. مبدع عربي بلغة موليير، نشر بتاريخ: 3\5\2003 مقال عبر موقع الالكتروني: WWW/ aljazeera/net أطلع عليه، أطلع عليه يوم: 15 مارس 2026 10:00

***الفرنكوفونية:** حركة فكرية لغوية تهدف إلى دعم وجود القيم الفرنسية في دول العالم وبقائها لا سيما الدول التي كانت مستعمرة قديما من فرنسا.

الفصل الثاني: تجليات الغربة في ديوان ظل الحارس لمحمد ديب

المبحث الأول: الملامح العامة لديوان " ظل حارس" لمحمد ديب

المبحث الثاني: مظاهر الغربة في ديوان " ظل الحارس" لمحمد ديب

تمهيد:

كان الشعر عبر العصور وعاء يختزن مشاعر الإنسان وأحاسيسه، ويجسد واقعه الممتزج بخياله، حيث يعبر الشاعر من خلاله عما يختلج في نفسه من قضايا وهموم، فيتفاعل مع مجتمعه تارة، ويبوح بمعاناته تارة أخرى. وبذلك يغدو الشعر رسالة سامية تهدف إلى التعبير والتغيير والمساهمة في حل المشكلات، و نشر نظرة إيجابية للحياة. وقد أهتم الأدب عامة، والشعر خاصة بقضايا الأمة العربية المتنوعة، متأثرًا بما شهده العصر الحديث من أزمات اجتماعية وسياسية واقتصادية ، إضافة إلى الحروب التي عرفتها البلدان العربية ، فنهض الشعراء مدافعين عن أوطانهم، داعين إلى الحرية، ومن مناهضين لكل أشكال الظلم والاستبداد والاستعمار، الذي تسبب في تشريد العائلات وتفكيك المجتمعات. فلم يجد الشاعر وسيلة أصدق من قلمه ليناضل به ويُسمع صوته للعالم. ومن أبرز القضايا التي تناولها الشعر بقوة قضية الغربة و الحنين إلى الوطن، حيث عبّر الشاعر عن شوقه واشتياقه وحنينه، سواء كانت غربته داخلية أم خارجية، فالإحساس في الحالتين واحد. ونحن بصدد دراسة تجربة شعرية لأحد أعلام الأدب الجزائري، وهو الشاعر محمد ديب، الذي ترك بصمة واضحة في الأدب العربي والفرنسي. يعالج الفصل التطبيقي بالتفصيل ملامح عامة كديوان" ظل الحارس" وما يتعلق من مظاهر الغربة فيه من خلال مبحثين.

المبحث الأول: الملامح العامة لديوان " ظل حارس" لمحمد ديب

يحتوي المبحث الأول، الذي يتحدث عمومًا عن ديوان ظل الحارس، لمحمد ديب، وما أثير حوله.

المطلب الأول: مضمون ديوان ظل حارس

ظل حارس: " الديوان هو عبارة عن مجموعة من القصائد الشعرية. كتبت في حقبات زمنية متقاربة. وأول قصيدة كتبها . في هذا الديوان، كانت سنة1945، والمعنونة ب: ظل حارس"[1]

القصيدة تعكس تجربة شعرية شعورية لابن يحاول التشبث بجذوره بالأرض الأم، الجزائر رغم شعوره بالوحدة فهو يثبت من جهة أخرى هويته وانتمائه لهذا البلد ويتغنى ببلده ويتذكر جبالها وطبيعتها وأوراسها ...الخ.

يحتاج هذا العنصر إلى بسط معاني أول قصيدة للشاعر في ديوانه ظل حارس كانت بعنوان "ظل حارس" بمقطعين وهذا مقطع منها يقول الشاعر:

أغْلَقْنَ اَلْأَبْوَاب
أَيَّتُهَا اَلنِّسَاء
فَالسَّبَات اَلْحَزِين
يَغْمُرُ أَعْصَابكُنَّ
أَفْنَى اَلْمَاءُ
وَالرَّمْل
أَثَرَ خُطَاكُنَّ

[1]–جمال غلاب: قراءة في ديوان (ظل حارس) لمحمد ديب، مقال تأ ثير الشعر المغاربي في الشعر العالمي، الثلاثاء 2ماي 2002/ عبر الموقع الإلكتروني https://www.diwanalarab.com، أطلع عليه يوم:26 مارس 2026 .

فَلَا شَيْءَ
ملك لَكِن
هُنَاكَ فِي اَلْأَبْعَادِ
وَمَضَاتِ نُجُومِ
مَنَاحِي اَلْأَرْضِ
مُعْتِمَةً
وَالْمغَانِي
سَوْدَاء
وَهِيَ تَأْوِي
رَاحَتكن
أَغْلَقْنَ أَبْوَابُكُنَّ
فَأَنَا حَارِسٌ
وَلَا شَيْءَ
ملكٌ لكن[1]

تمثل هذه الأبيات المقطع الأول من قصيدة ظل حارس وإذا ركزنا في عتبة العنوان فالمراد به. الظل رمزية للجزائر المستعمرة، والظل الذي لم يغب طيلة مئة واثنين ثلاثين سنة. وهي الفترة التي قضاها الاستعمار الاستيطاني الفرنسي في الجزائر. والظل هو الحرية المهدورة والمنتهكة في الجزائر[2]

المقصود **من (أغلقن الأبواب):** يدعو محمد ديب إلى الانعزال والحماية من عالم خارجي موحش. فالإغلاق هنا لا يعني السجن، بل قد يرمز إلى محاولة الحفاظ على ما تبقى من الذات أو الهوية ، في ظل الضياع التي تعانيه الشعوب المستعمرة.

[1]–محمد ديب: ظل حارس ديوان محمد ديب، تر: محمد سعدون، دار خيال للنشر والترجمة، برج بوعريريج– الجزائر، 2019، ص13–14.

[2]–جمال غلاب: قراءة في ديوان (ظل حارس) لمحمد ديب، مقال تأ ثير الشعر المغاربي في الشعر العالمي، الثلاثاء 6ماي2006 عبر الموقع الإلكتروني https://www.diwanalarab.com/" أطلع عليه يوم: 28 مارس 2026 00:11

يقول الشاعر في مقطع من القصيدة **(السبات الحزين يغمر أعصابكن(:** يعبر الشاعر من خلال هذا القول عن حالة شعورية يمتزج فيها اليأس والحزن، حيث تغمر هذه المشاعر الأعصاب لتصبح جزءا من الجسد والنفس معا.

يقول أيضا في مقطع من القصيدة **(لا شيء ملك لكن):** يرمز هذا القول إلى حالة من الفقد في سياق الأحداث التي مرت على الجزائر من استبداد وقهر، وسلب للحرية والأرض، كما يمكن أن نقرأه من وجهة نظر أخرى وهي غربة الإنسان في هذا الكون وعدم قدرته على امتلاك حتى مصيره.

أما المقصود من قوله **(فأنا حارس):** يظهر محمد ديب بصورة حارس ، لكنه حارس للعدم أو للظل. هو يراقب هذا الفقدان ويؤكده، وكأنه يجسد الواقع الحقيقي لبلده فهو يحرس اللا شيء.

إن القارئ والمتمعن لمضمون القصائد في الديوان من لغة ورموز ودلالات والمؤول لها يبدو له النص وكأنه ترجمة لقصيدة عالمية ويشبه لحد ما **أدب المنفى** .

بالإضافة إلى قصيدة ظل حارس نجد قصائد أخرى في الديوان وشملت تسعة وعشرين قصيدة وهي: مطلع الفجر لساعة المجنونة، أغنية الأطفال، صوت، على الأرض المضلة، العناصر، قيلولة، نور معاكس، أرض ظل، ميناء، شكوى، المربيات، غريب، التماثيل، مساء في الغابة، هذا اليوم، أونفير، ربيع، أطوار الليل، جمال الحقيقة، تانزرورين، كأنما حلمت، الطبيعة الباريسية، على رحيل نيزفال، صيف، فيجا، عش اليوم، أغنية إلى إلزا، جسور.

إذا هذه هي القصائد التي اشتمل عليها ديوان ظل حارس لمحمد ديب عبر من خلالها الشاعر بلغة الآخر عن اغترابه وعزلته التي شعر بها في فرنسا، تعكس رغبة الشاعر الشديدة

*__أدب المنفى:__ أدب المنفى هو مجموع النتاج الأدبي (شعراً ونثراً) الذي يكتبه الأدباء خارج أوطانهم نتيجة للنفي القسري أو الهجرة الطوعية، وغالباً ما يرتبط بالاستبداد السياسي أو الحروب الأهلية.

منه في إيصال صوته لشعبه أولا، وكل الشعوب التي تعاني من وطأة الاستعمار، قصائد تفصح عن واقع غريب لم يألفه الشاعر ولم يستطع التأقلم فيه، كما استحضر الشاعر الأمكنة والأزمنة، والطبيعة، ورمز من خلال ذلك لبعده ووحشته، ووحدته في منفاه.

نستنتج أن مجمل القصائد في مضمونها واقعية بلغة رمزية إيحائية، فلو ركزنا في عناوين قصائده لوجدنا مفارقات متباينة، تحاكي غربته وحنينه للوطن، مثل: غريب، نور معاكس، أطوار الليل، وغيرها... من خلال هذه القصائد أراد الشاعر أن يدافع عن هويته، وقضية بلده الجزائر، ويثبت انتماءه لها حتى وإن كان بعيد الجسد فهو قريب الروح، والتزامه رغم الظروف المحيطة به، فلم ينسى محمد ديب ما فعله المستعمر الفرنسي بإخوانه، لهذا صور حزنه على موتاهم، كما صور اشتياقه خلال الليالي الطويلة التي عاشها في باريس.

المطلب الثاني: قيمة ديوان محمد ديب في ظل الحارس في الدراسات الأدبية

تجربة شاعر محمد ديب في الدراسات الأكاديمية، ثراء ملحوظا في الأدب الحديث المغاربي المكتوب باللغة الفرنسية ، واحدة من أكثر التجارب الأدبية ثراء وتعقيدا .

يمثل الأديب الجزائري محمد ديب قامة إبداعية استثنائية في تاريخ السرد الحديث، حيث استطاع أن يؤسس لمسار متفرد جعله يحمل لقب الأب المؤسس للأدب المغاربي المكتوب باللغة الفرنسية بجدارة، متجاوزا الحدود الجغرافية ليبلغ العالمية عبر نصوص جمعت بين دقة الوصف وعمق التحليل النفسي، تمكن هذا الكاتب الفذ من توثيق يوميات الإنسان الجزائري ونقل معاناته العميقة تحت وطأة الاستعمار إلى الضمير الإنساني، مقدما مقاربات أدبية متسلسلة تعكس التحولات الاجتماعية والسياسية التي عصفت بالبلاد في فترات تاريخية بالغة الحساسية والتعقيد"[1]، بالفعل فمحمد ديب استطاع تطويع لغة الآخر (الفرنسية) لخدمة الهوية الجزائرية، محولا النص الأدبي من روايات وشعر إلى أداة لمحاربة المستعمر وحماية الهوية والدفاع عنها.

[1]–هارون عمري: محمد ديب... نساج الكلمات ومهندس السرد الجزائري، مقال نشر بتاريخ 28 مارس/2026
الموقع الالكتروني https://elayem.net أطلع عليه يوم: 6أفريل 2026 10:00

وفي هذا الصدد تعتبر كتابات محمد ديب من خلال المواضيع التي سخر قلمه من أجل التعبير عنها حلاً للإشكالية العالقة من حيث اعتبار الأدب الجزائري الذي كتبه أدباء جزائريون بلغة فرنسية أدبا فرنسيا انطلاقا من اللغة، إذ يقول محمد ديب ببساطة أن كتاباته فرنسية من حيث اللغة فقط، في حين أن الثقافة التي صقل عليها وترعرع في أحضانها هي ثقافة مغربية خالصة. وبهذا تعد اللغة الفرنسية لغة للكتابة عند محمد ديب، أما العربية فهي التي تغذي خيالات كتاباته، وهو ما سمح باعتباره كاتبا جزائريا لأنه على اتصال أكيد مع أبناء بلدته، يعبر قضايا هو ينبع في أفكار ومخيلته من انتماءه المغربي العربي"[1].

اعتبر محمد ديب اللغة الفرنسية مجرد وعاء تقني، بينما يظل المضمون،(الوجدان، والمخيلة) نتاجاً خالصاً للبيئة التي نشأ فيه، فالفرنسية عنده ليست إلا وعاء لغوي صاغ فيه فكرا وخيالا مغربيا عربيا خالصا، مستمدا من انتماءه العربي .

من هنا نجح محمد ديب في تطوير لغة الآخر لتكون صوتاً لـ لتجربته الأدبية، جاعلا إياها أداة تحرر وبناء ثقافي .أما عن قيمة الديوان وما تركه من أثره فقد: "تميزت هذه القصائد التي لم تقع في المباشرة السياسية، والخطابية الجافة. كانت تجربة ديب الشعرية مختلفة، وفيها حساسية جمالية تميزها عن الشعر المكتوب بالفرنسية حينها، بالإضافة للالتزام بقضية شعب مضطهد ومقموع."[2] كما للديوان أهمية بالغة تتجلى من خلال مضمونه الذي يحمل بصمة متفردة فصعوبة الكتابة بلغة الآخر تعبيرا عن قضية خاصة، يعتبر جهادا ومقاومة بسلاح القلم، وما تحمله القصائد من شحنات واقعية ومعاناة شاعر عاش وجع بلاده من : اضطهاد، وظلم وكسر للهوية، ثم للذات، تلك اللغة الرمزية التي تستدعي تأويلات عميقة لفهمها، تجعل من

[1]– عالية زروقي: اللغة الفرنسية والمصادر الأجنبية في أدب محمد ديب، مجلة التعليمية، عدد 13، مجلد 5، جامعة حبيبة بن بوعلي الشلف الجزائر، 2018، ص 172.

[2]– سعيد خطيبي: المترجم الجزائري حكيم ميلود: هاجسي إرجاع محمد ديب إلى بيته، مقال، القدس العربي، 5–أبريل، 2024، عبر الموقع الالكتروني WWW .alquds.com أطلع عليه يوم: 8 أفريل 2026 9:00

***الأدب العالمي**: الأدب العالمي هو مجموع الأعمال الأدبية التي تتجاوز حدودها الوطنية والثقافية لتكتسب شهرة وتأثيراً واسعاً حول العالم، وغالباً ما يتم تصنيفها بناءً على جودتها الفنية العالية وترجمتها إلى لغات متعددة

الديوان جزءا يُنظم للأعمال الأدبية العالمية .وفيه يتحدث الشاعر عن غربته واغترابه الذاتي، الوجودي، والمكاني والزماني بأسلوب واقعي أدبي فغربة عن وطن يعيش تحت ظل الاستعمار وغربة وجودية عن الذات والمجتمع، بأسلوب جمالي تتعدد فيه الدلالات وتتشابك فيه التأويلات، فعند شرحنا لقول واحد يحمل لنا العديد من المعاني، وهذا لفنية الأسلوب ولغة الكاتب الرمزية التي جعلت من النص قطعة نثرية فنية مميزة تتدفق فيها المشاعر الصادقة المنبعثة، والتي تدعوا القارئ لإكمالها والاستمتاع بقراءتها وتحليلها بعمق فتترك فيه أثرا واضحا يعكس عمق تجربة محمد ديب.

المبحث الثاني: تجليات الغربة في ديوان ظل حارس لمحمد ديب

نتناول في هذا المبحث لتجليات الغربة في ديوان ظل حارس في مجموعة القصائد بالعرض والتحليل.

المطلب الأول: صورة الغربة في ديوان ظل حارس

أول ما نلاحظه لصور الغربة في ديوان ظل حارس وتجلياتها:

1-غربة اللغة

والمقصود بغربة اللغة: "تعد غربة اللغة في الأدب مفهوما عميقا يتجاوز مجرد البعد الجغرافي، ليعبر عن حالة الانفصال أو التوتر بين الأديب ولغته الأم، أو بين اللغة والواقع المعاش"[1]، فالشاعر محمد ديب كتب بلغة الآخر (الفرنسية) ليعبر عن قضايا وطنه، وكانت "الغربة" ظاهرة تسكن في صلب تجربته، لذا جاء شعره مليئا بالرموز عن المسافة بين ذاته والواقع المرير الذي يراه منفى لا غير.

[1] -إيناس محروس بوبس: غربة اللغة العربية بين أهملها.. المظاهر والأسباب ومنهجيات المعالجة، مقال، 25 أفريل 2024م، www. Aljazeera.net

2-غربة المكان

يقول الشاعر في مقطع من قصيدة صوت:

فِي هَذَا اَلصَّبَاحِ اَلْفَاتِحِ

في الضباب وفي الوحشة

بَعْضِ زهيرات اَلسُهُوبْ

ثَمَّةَ أَعْشَابٌ يَابِسَةٌ تَحْتَرِقُ

وَبَعِيدًا هُنَاكَ

رِدَاءٌ يخفق أَمْ أَنَّهَا اِمْرَأَةٌ تَمْشِي؟

أَتَأَمَّلُ هَذِهِ اَلْأَرَاضِي اَلْحَمْرَاءِ وَأُفَكِّرُ إِنَّهُ رُبَّمَا ذَاكَ فَقَطْ

مَا جَعَلَ اَلْقَلْب عَنِيدًا

وَفَجْأَةِ يَنْطَلِقُ صَوْت يُجِيبُنِي

فِي اَلضِّيَاءِ اَلْأَبَدِيّ

وَكُلُّهُ مُضْطَرِبٌ

عَبْرَ اَلْفُصُولِ حَيْثُ تَمُرُّ اَلسنونَ

وَلَكِنْ سَأَظَلُّ فَتِيًّا

وَأُولدُ ثَانِيَةً فَتِيًّا[1]

هذه الأبيات من قصيدة صوت تجسد صراعاً جميلاً بين وحشة الشاعر والانبعاث من جديد. حيث تتحول الأرض "الحمراء" القاسية إلى مصدر لـ عناد قلبه وقوته. وهناك تحول واضح عند الشاعر من تأمل الضباب والأعشاب اليابسة إلى سماع ذلك الصوت الذي يعلن الانتصار على الزمن. يقول**(سأظل فتياً وأولد ثانية فتياً)** هي صرخة أمل تتجاوز مرور السنين، وتجعل من الروح كياناً يتجدد مع كل ضياء . تبدأ القصيدة برسم جو عام يتخلله نوع الغموض والضياع، فاستخدام

[1]- محمد ديب: ديوان ظل حارس، ص22

مفردات مثل "الضباب" و"الوحشة" يعكس ضبابية الرؤية وفقدان الاتجاه الذي يشعر به المغترب. الصباح هنا لا يأتي بالوضوح التام، بل يفتح عينيه "قليلاً"، مما يشير إلى حالة من الترقب التي يعيشها محمد ديب بعيداً عن وطنه. يستحضر ديب الأراضي الحمراء والأعشاب اليابسة التي تحترق، وهي رموز قوية للبيئة صورة الأرض والذاكرة (الأراضي الحمراء). الغربة هنا تظهر في تأمل هذه الأراضي من بعيد، حيث تصبح الذاكرة هي الرابط الوحيد بالواقع، وهي التي تجعل (القلب عنيداً) في مواجهة محو الهوية. يسأل الشاعر ببراعة: "رداء يخفق أم أنها امرأة تمشي؟". هذا الشك يجسد تشظي الهوية؛ فالمغترب لم يعد يميز بوضوح بين الحقيقة والسراب. استحضار (المرأة) يظهر كطيف عابر يزيد من حدة الشعور بالوحدة وسط هذه السهوب الموحشة. تبرز الغربة المكانية هنا متداخلة بين غربة نفسية تجسد البعد الثقافي للشاعر من جهة وبعده الجغرافي عن وطنه وانعكاس ذلك على نفسيته من جهة أخرى، القصيدة مزيج مختلط لمشاعر محمد ديب، المغترب الذي يستحضر الأمكنة والأراضي ويتغنى بها في أبيات شعرية بأسلوب رمزي دائمٍ.

نجد في قصيدة (أمسيات باريس اللطيفة) يقول الشاعر:

هِيَ اَلَّتِي تَجْعَلُكَ حَزِينًا
بَارِيس اَلدَّاكِنَةَ
لِلْمَنْفَى
جَحِيم
لِمَا اَلسَّمَاء اَلرَّمَادِيَّةِ وَالْوَرْدِيَّةِ
فَوْقَ نَهْرِ اَلسِّينَ
تَسْتَلْقِي
مُرْتَجِفَةً قَلْبُهَا
كُلُّهُ يَصْرُخُ وَيَنْزِفُ
أَيَّ غَرِيبٍ هُنَا
لَا يُحِسُّ بِأَنَّهُ فِي بَيْتِهِ؟

لَكِنْ

يَنْتَابُكَ هَذَا

هكذا.[1]

هذا القول يعبر عن تجربة الغربة والوحدة التي أحسها محمد ديب في مدينة باريس. وظف محمد ديب بعض الكلمات والمصطلحات والصور الموحية بغربة المكان في القصيدة فقد بدأ الشاعر بوصف المدينة (أمسيات باريس اللطيفة) كسبب للحزن، فجمال باريس هنا لا يمنح الشاعر الراحة، بل إنه يضاعف شعور المنفي بالوحدة لأنه يذكره ببعده عن موطنه الجزائر . يصفها بالداكنة فقد تحولت المدينة في عينه من (مدينة الأنوار) إلى مكان ذاكن وموحش. فالغربة ليست مجرد بعد جغرافي، بل هو حالة نفسية تجعل المكان الأجمل يبدو كـ "جحيم" لشخص الذي لا يشعر بالانتماء.

أما قوله (السماء ونهر السين): قد أضفى الشاعر صفات بشرية على المشهد، فالسماء الرمادية والوردية (تستلقي مرتجفة) فوق النهر، وقلبها (يصرخ وينزف). هذا الانكسار في الطبيعة يعكس الانهيار الداخلي للشاعر نفسه وتجربته الأليمة.

وفي مقطع من القصيدة يتساءل الشاعر مستنكرا(أي غريب هنا لا يحس بأنه في بيته؟) ليشير إلى أن باريس، رغم انفتاحها، قد تظل مكاناً غريباً تماماً لمن فقد وطنه.

ينتهي المقطع بعبارة (ينتابك هذا.. هكذا)، وهي إشارة إلى أن هذا الشعور بالتمزق والحزن هو قدر محتوم للمنفى واغترابه الذاتي النفسي والجسدي ، فهي تجسد غربة مكانية ونفسية في آن واحد.

[1]– محمد ديب: ديوان ظل حارس، ص 40

3-غربة نفسية وجودية

تتجلى الغربة النفسية للشاعر فهو وحيد في بلد غير بلده، رغم كثرة الناس لايشعر بوجودهم، يقول الشاعر في أحد مقاطع قصيدة **مطلع الفجر**:

فَجْر مُنْبَلِجٌ

وَالطَّبِيعَةُ تُحَاكُ

بِخُيُوطِ اَلدَّمِ وَالرّيحِ،

وَالصَّمْتُ وَالزَّوَابِعُ اَلصَّفْرَاءُ

وَيَنْحَرِفُ لَحْنُ اَلْغِنَاءِ اَلْجَمِيلِ

فَوْقَ اَلرُّبَى

بِلَا نِهَايَةِ كل اَلْأَوَاصِرِ تَقَطَّعَتْ

آهٍ!

كَيْفَ أَحْيَا؟ !

مَغْنَايْ مُسْتَقِر لِلصَّقِيعِ

يَعْصِفُ حَتَّى اَلْمَوْتِ

وَلَكِنْ أَنْتَ تُهِمّهُمْ

" لينته المنفى فقط "[1]

يعبر الشاعر عن حالة من المعاناة الوجودية والوطنية التي عاشها الإنسان الجزائري إبان الاستعمار. حيث يصور محمد ديب الفجر (رمز الأمل أو بداية عهد جديد) ليس كلحظة هادئة، بل كلحظة ولادة دامية. استخدام (خيوط الدم) يشير إلى التضحيات الجسيمة والثمن الباهظ للحرية، بينما ترمز (الريح والصمت والزوابع) إلى الاضطراب الذي يسبق التغيير الجذري في نفسية الشاعر .

[1]- محمد ديب: ديوان ظل حارس، ص17.

كما يعبر الشاعر في مقطعه(كل الأواصر تقطعت.. كيف أحيا؟): يعبر الشاعر عن حالة الاغتراب والتمزق، فالاستعمار لم يحتل الأرض فقط بل قطع الروابط الإنسانية والاجتماعية والتي عبر عنها بكلمة (الأواصر)، مما يجعل سؤال الحياة نفسه تحديا وجوديا.

يقول الشاعر (أنت تهمهم: لينتهِ المنفى فقط): تنتهي الأبيات بصوت الشاعر الداخلي أو همس. (لينته المنفى) فحالة الاغتراب التي يعيشها الشاعر الجزائري داخل أرض(المنفى) تجعله يتكلم داخله بصوت غير مسموع ليطلع فجر جديد، والحل الوحيد هو كسر قيود هذا المنفى واستعادة الذات.

وفي قصيدة **على الأرض المضلة** من ديوانه يقول الشاعر:

إذا الليل سقط

أخذت استرخائي

فوق الجبال الفولاذية

و تجردت

على مرأى الصباح

مثل التي تقوم

لتجلب الماء المبكر

غريبة كانت بلادي

حيث تتحرر العواصف الشديدة

أشجار الزيتون على الضواحي[1]

يختار الشاعر الاسترخاء فوق الجبال الفولاذية وهو قول يشير إلى حالة الشاعر وانفصاله عن الواقع، حيث يفضل الاسترخاء فوق فولاذ صلب قاسي ومواجهة غربته ببرود مشاعره، حيث يقول:

[1]– محمد ديب: ديوان ظل حارس، ص24

يقول في مقطع (غريبة كانت بلادي) تعكس هذه الجملة فيض من مشاعر الوحشة والوحدة واستحضار ما كانت عليه بلاده حيث تموج بالاضطرابات.

يقول الشاعر في مقطع من قصيدة الساعة المجنونة

تَائِهَةٌ

سَوْدَاءُ

أَنْتُمْ سَتَعْرِفُونَهَا

بِكَثْرَةِ حِقْدِهَا الأَسْوَدِ

وَشِدَّةِ الصُّرَاخِ

وعتو الرِّيَاحِ

تُولَدُ مِنَ الأَكْلَاسِ العَتِيقَةِ

وَمِنْ نِيرَانِ البَحْر

مَجَاذِيفُهُ

لِلْمَوْتِ

تَلْتَمِعُ غَرِيبَةٌ

أَنْتُمْ سَتَعْرِفُونَهَا

إِنَّهَا سَاعَةُ الحِدَاد

سَاعَةُ الدَّمِ المَسْفُوحِ عَلَى الكُرُومِ

وَجُنُونُ الضِّيَاءِ [1]

بدأت القصيدة بوصف الساعة (تائهة)، وهي استعارة للإنسان المغترب الذي فقد بوصلته واتجاهه في عالم مظلم (سوداء) هنا تمثل الغربة كحالة ضياع عند الشاعر.

[1] – محمد ديب: ديوان ظل حارس، ص19

الغربة كصراع مع الطبيعة: تظهر الغربة في صورة قوى معادية (عتو الرياح)، (نيران البحر). يعبر محمد ديب كمغترب لا يجد السكينة، بل يواجه صراخاً ورياحاً عاتية تعكس اضطرابه الداخلي.

يقول في مقطع من القصيدة **(الأكلاس العتيقة)**: ولادة الساعة من الأكلاس العتيقة (وهي تمثل بقايا الحجارة القديمة) تشير إلى محاولة استرجاع ماضٍ مدمر أو الانتماء إلى أطلال، مما يعزز الشعور بالعيش في زمن ومكان لا ينتميان للمغترب، مما يعني هنا الغربة كفقدان للهوية.

وبقوله (الموت والدم): تصل غربة الشاعر في هدا المقطع من القصيدة إلى ذروتها عندما تتحول إلى (ساعة حدا). فالمغترب يرى العالم من حوله(دماً مسفوحاً) مثلما رآه في بلاده، مما يعني أن غربته ليست مكانية فحسب، بل هي غربة روحية ترى الموت في كل جمال (حتى في "الكروم" و"الضياء") .

صورة الغربة في قصيدة قيلولة يقول الشاعر:

فِي وَضَحِ النَّهَارِ

فَجْأَةً

وَكَأَنَّ اللَّيْلَ يُخَيِّمُ

حَلُمْتُ بِظِلٍّ يَلْثمني

وصَارَتْ لَدَيَّ الحَيَاةُ

خَفِيفَةً

ثُمَّ فَجْأَةً

تَنَبَّهْتُ

وَلَكِنَّ رَفِيف وَحِيد حَوْلِي

إِنَّهَا النَّحْلَةُ

بِجَنَاحَيْهَا البَاهِرَتَيْنِ

تَرْسُمُ بِرِفْقٍ دَوَائِرَ

فَوْقَ مُوَرِدَةٍ مِنَ النَّرْجِسِ البَرّيّ

وَالضِّيَاءُ يُمَدِّدُ السُّكُونَ[1]

تبدأ الغربة بانسحاب الشاعر من (وضح النهار) إلى حالة "القيلولة"، حيث يغترب عن العالم الخارجي ليدخل في عالم حلمي. تعبير (وكأن الليل يخيم) في ذروة النهار يعكس شعور الغريب الذي يرى العالم بغير صورته المألوفة، أو يشعر بانفصال زمني عما يحيط به.

غربة الذات (الظل المجهول): صورة "الظل الذي يلثمه" ترمز إلى لقاء مع جانب مجهول أو غريب من النفس. هذا الظل قد يمثل "الآخر" أو "الوطن البعيد" الذي يمنحه الشعور بـ"خفة الحياة"، وهي خفة لا يجدها في واقع الثقل اليومي.

(الرفيف الوحيد): رغم جمال مشهد النحلة، إلا أنها توصف بـ "رفيف وحيد". هذا التوحد يعكس غربة الشاعر النفسية والروحية، فهو يراقب الجمال من مسافة، كـ "مراقب سلبي" أو "غريب" يشعر بالدهشة تجاه أشياء بسيطة يغفل عنها الآخرون.

يستحضر الشاعر في هده الأبيات الطبيعة (النحلة، النرجس البري) تعبر عن غربة الشاعر (الذي عاش سنوات طويلة في المنفى بفرنسا) فقد أصبحت الوطن النفسي البديل له.

يقول (الضياء الذي يمدد السكون) حيث يمثل لحظة التصالح الهشة مع هذا العالم الغريب، تتحول فيه الغربة من "وحشة" إلى "تأمل طويل".

مما سبق دكره، الغربة هنا هي مسافة الأمان التي اتخذها محمد ديب ليرى العالم "بخفة"، محولاً شعور المنفى إلى طاقة إبداعية تعيد اكتشاف جمال السكون الذي حال إليه وجعله يبدع في ديوانه هدا.

4-غربة نفسية ومكانية:

يقول الشاعر:

يَا أَرْض

[1] – محمد ديب: ديوان ظل حارس، ص 33.

محرقَة سَوْدَاء

أُمّي الوَدُودُ

ابْنُكِ لَنْ يَبْقَى وَحِيدًا

مَعَ الزَّمَنِ الَّذِي يُمَزِّقُ قَلْبَهُ

اسْمَعِي صَوْتي الَّذِي

يَتَخَلَّلُ الأَشْجَارَ[1]

ينادي الشاعر وطنه بكل حب وشوق وألم يا أرض محرقة سوداء أمي الودود مفارقة واضحة رغم السواد الذي عاشته الجزائر، أي وطنه من الواقع المحترق، إلا أنها مكانه الوحيد الذي يجد فيه الأمان ، المكان الذي يعطيه صبرا لتحمل الوحدة والغربة التي يشعر بها، يقول (اسمعي صوتي يتخلل الأشجار) فصوته ليس مسموعا للبشر، بل هو رنين خفي للطبيعة ، حيث الوحدة والعزلة ،التي تحوم الشاعر جعلته يتواصل مع عناصر الطبيعة، مبتعد عن المجتمع، في صورة إبداعية فنية يؤكد لنا الشاعر أن رغم بعده عن الوطن إلا أن صوته سيصل وذلك عن طريق كتاباته الشعرية.

مما سبق ذكره فالشاعر يعيش غربة نفسية لا يجد لنفسه وطنا غير وطنه، فيناجيه كأم بديلة تخلصه من وجع التمزق الذي يحرق قلبه.

يقول الشاعر:

لكن صوتي لن يقف

ينادي ربَاكِ والجبال

هَبطَت مِنَ الأَوْرَاسِ

اِفْتَحْنَ أَبْوَابَكُنَّ

[1]– محمد ديب: ديوان ظل حارس، ص24.

يَا قَرَائِنَ الوِدَادِ اِمْنَحُونِي مَاءً بَارِدًا

وَعَسَلًا وَخُبْز شَعِير

جِئْتُ لِأَرَاكُنَّ حَامِلًا لَكُنَّ السَّعَادَةَ

وَلِأَطْفَالِكُنَّ

وَلْيَكْبُرْ كُلُّ وَلِيدٍ وَيَنْمُو قَمْحُكُنَّ

وَيَرْغَد عَيْشُكُنَّ وَلَا شَيْءَ يَخْذُلْكُنَّ

وَلِتَنْعَمْنَ بِالسَّعَادَةِ [1]

تجسد الابيات حنين الشاعر لوطنه، هنا ليس مجرد تذكر وذكرى للجبال والأوراس ، بل هو ارتماء في حضن الهوية لمغترب سيعود بصوته الذي لن يتوقف عن النداء.

الغربة هنا هي التعب الذي لا يطفئه إلا (ماء بارد وعسل) وهي رموز للاحتواء والشفاء من وعثاء السفر والزمن، يحن الشاعر إلى "قرائن الوداد" (الأرض أو النساء المربيات) اللواتي يمثلن نبع الحنان الذي لم يتلوث، رغم غربته، لا يعود الشاعر شاكيا، بل يعود مانحا. يحمل "السعادة" ويدعو لـ "نمو القمح"، وكأنه يريد تأمين مستقبل أولاد وطنه لكي لا يذوق مرارة الغربة التي عاشها.

الشاعر يرى في الأوراس كبرياءه، وفي الخبز والعسل انتماءه، وفي دعوات الخير وسيلته لإنهاء غربته الروحية.

في قصيدة **نور معاكس** يقول الشاعر:

لَا شَيْءَ غَيْرَ البَحْرِ القَائِمِ الهَادِئِ

انْكِدَارُ النُّجُومِ

شَهَادَةٌ عَلَى تَنَاثُرِ السَّمَاءِ

عُزْلَةٌ،

[1]– محمد ديب: ديوان ظل حارس ، ص26.

هَوَاجِسُ

ووشوشة

لَا شَيْءَ غَيْرَ البَحْر

وَالعُيُونُ مُطْفَأَةٌ

بِلَا مَوْجٍ وَلَا رِيحٍ

وَلَا سِتَار.[1]

تتجلى غربة الشاعر في هذه الأبيات كحالة من الانفصال التام عن العالم المادي، حيث يتحول البحر من تضاريس طبيعية إلى مرآة للعدم والوحدة المطلقة للشاعر، يقول عزلة، هواجس.

حيث يصور لنا الشاعر من خلال كلمات وألفاظ عن الغربة، حيث انطفأ نوره فلم يعد يشعر بأحاسيسه، وكأنه أعمى لا يرى ومن الألفاظ الدالة على ذلك نجد:

يقول في مقطع (العيون مطفأة) و(لا موج ولا ريح) الشاعر غريب حتى عن حواسه، فهو يرى الشمس والنجوم لكنها صور باهتة (انكدار، تناثر) لا تبعث فيه الحياة، مما يدل على فقدان الشغف والدهشة، يجد فيها الشاعر نفسه وحيداً أمام عظمة الطبيعة وصمتها القاتل، حيث يصبح البحر هو المبتدأ والمنتهى.

المطلب الثاني: أبعاد الغربة عند محمد ديب في ديوانه ظل حارس

تشابكت مجموعة من الأبعاد عكست معاناة الشاعر وتجربته في الغربة في ديوان ظل حارس حيث نجد:

1- البعد الجغرافي:

وتمثل في البعد عن الوطن والأهل والحنين للوطن حيث يقول الشاعر في قصيدة ميناء:

[1]- محمد ديب: ديوان ظل حارس، ص34.

إِنَّهَا تُمْطِرُ

وَالمِينَاءُ يَضِجُّ

لِمَاذَا أَنَا هُنَا؟

أَنْظُرْ القَارِبُ الأَبْيَضُ هَكَذَا ؟ !

الأَرْصِفَةُ رَمَادِيَّةٌ بِحَشْدٍ ثَابِتٍ

وَالشَّمْسُ تَتَدَلَّى

عَبْرَ الأَدْخِنَةِ مَاذَا تُرِيدُ؟

إِنَّكَ تُعَانِي لِتَصْرُخ

غَادَرَ القَارِبُ

وَهَا هِيَ المَدِينَةُ

الشِّتَاءُ فِي كُلِّ مَكَانٍ

كَابُوسٌ

شكله المَاءُ

وَقَلَقٌ

يَلُفُّ " بوردو " [1]

تتجلى الغربة في هذا النص كحالة انفصال تام بين الشاعر والمكان، فرغم أنه يصف "بوردو" بدقة الأرصفة، الأدخنة، القارب، إلا أنه يشعر بحالة غريبة تجاهها، وكأنه يراقب مثلما قال كابوسا لا يصله بشيء.

وعند سؤاله (لماذا أنا هنا؟) فهو الآن يسأل نفسه لماذا هو في هذه المدينة التي ليست موطناً بل هي "حشد ثابت" و"أرصفة رمادية"، ألوان تفتقر للحياة والحميمية هي ليست كوطنه الحبيب.

[1]– محمد ديب: ديوان ظل حارس ، ص38.

البعد الزمني : "الشتاء في كل مكان" ليس فصلاً مناخياً بقدر ما هو تجمد للمشاعر هناك شعور بالثبات القاتل (الحشد الثابت) مقابل رغبة في الحركة والهروب (غادر القارب)..

- كما يتجلى البعد الجغرافي في قول الشاعر(قصيدة كأنما حلمت):

كَأَنَّمَا حَلِمْتُ

عَلَى نَهْرٍ رَائِقٍ

بَيْنَمَا اللَّيْلُ يَفْتَحُ فَرَاغًا غَرِيبًا

بَيْنَ المَدِينَةِ وَالهَوَاءِ والصخرة

والماء المرنق

وَأَفْقِدُ الحَيَاةَ فِي هُدُوءٍ

فِي شَهْرِ آب هَذَا [1]

يقول محمد ديب (الفراغ الغريب) وهو يصور في هذا المقطع الشعري المدينة كفضاء "يفتح فراغا غريباً، حيث يفقد الرابط بين العناصر الطبيعية (الهواء، الصخرة، الماء) وبين العمران، مما يشعره بأنه كائن يحلم وسط واقع لا ينتمي إليه.

ويقول أيضا في نفس القصيدة:

كَأَنَّمَا حَلِمْتُ، وَلَكِنْ

مَا هِيَ إِلَّا فُسْحَةُ

أَرْصِفة وجسور

تَنْفُثُ سِحْرًا قَاتِلًا

نحن لا نذهب

سَيِّمَا لَا نَصْرُخُ نَحْوَ ذَاكَ الَّذِي يَهْبِطُ

مِنْ نَهْرِ الصِّينِ حَالِمًا[2]

[1]– محمد ديب: ديوان ظل حارس ، ص63.

[2]–المصدر نفسه، 63.

يضع الشاعر نفسه في غربة مكانية، بارد المشاعر رغم جمال المكان ، حيث تتحول الجسور إلى مصيدة قاتلة له "تنفث سحراً قاتلاً".

2- البعد الروحي:

نلتمس البعد الروحي في ديوان ظل حارس من خلال تمظهرها في قصيدة غريب:

إِذَا لَمْ يَكُنْ هَذَا البَرْدُ

فَمَنْ يُنَبِّهُنِي؟

هَل الحُلْمُ المُتَلَاشِي تَمَامًا؟

وَالظِّلُّ الأَسْوَدُ وَالصَّوْتُ

هَلْ هَذِهِ الأَشْيَاء

هِيَ الَّتِي أَبْكَتِ الطِّفْل

أَمِ الغَيْمَةُ الشِّتَوِيَّةُ؟

إِنَّهُ أَنَا

أَنَا المُنْزَعِجُ الَّذِي

يَسُدُّ الطَّرِيقَ أَمَامَكُمْ

لَسْتُ مَيْتًا وَلَا حَيًّا

هُنَاكَ يَكُونُ مَجَالِي

جَحِيمُ الحِدَاد[1]

يتضح من خلال هذه الأبيات شعور محمد ديب بالغربة والضياع، نفسية متعبة ما بين الحياة والموت. غربة الشاعر النفسية أصبحت تشعره كعائق أو "مزعج" في طريق الآخرين، ليس لشرٍ فيه، بل لأنه يذكرهم بما يودون نسيانه، الحزن المقيم والعدم.

عبارة "لست ميتاً ولا حياً" تلخص الحالة المأساوية التي آل إليها محمد ديب حيث يفقد الإنسان صلته بالواقع لكنه لا يغادره تماما يشعره أنه في جحيم.

[1]- محمد ديب: ديوان ظل حارس ، ص45.

كما يتجسد البعد النفسي للشاعر في قوله من خلال قصيدة:

أَنَا الرَّفِيقُ المِثَالِيُّ لِلتَّمَاثِيلِ

فِي الحَدَائِقِ العَامَّةِ القَلِيلَةِ الارْتِيَاد

أَرْقُبُ شِفَاهَهَا

أين تَقِفُ

كَلِمَةٌ قَتِيلَةٌ

حَرَكَاتُهَا الحَجَرِيَّةُ

بِشُحْنَاتِهَا الغَرِيبَةِ

عِنْدَ أَقْدَامِهَا توجل الطيور

بِالصُّدَاحِ

، وَلَكِنْ فِي الظِّلِّ المُرْتَجِفِ أَحْيَانًا

تَقْشَعِرُّ

وَفِي الحَالِ تَطِيرُ الطُّيُورُ

بَغْتَةً كَمَا

وأَحُسُّ أَنَّنِي وَاضِحٌ

أَكُونُ مَعَ البَشَرِ [1]

يعكس الشاعر من خلال الأبيات رغبته في العزلة، وهو شعور نفسي، حيث تصبح التماثيل هي "الرفيق المثالي" لأنها لا تقاطع أفكاره مثلما يفعل البشر.

ب- البعد الاجتماعي: يعبر الشاعر عن وحدته في المجتمع الذي هو فيه رغم أنها مدينة جميلة ومجتمع يضج بالناس والمارة الا أنه وحيد وسط كل ذلك .

يقول الشاعر في مقطع من قصيدة تا نزورين

[1]- محمد ديب: ديوان ظل حارس ، ص47.

دوما فِي كُنْهِ الفَرَاغ

فِي عُمْقِ ظَلَامِ اللَّيْلِ

تَقْبَعُ مَدِينَةٌ

فِي الحَنِينِ المُمِيتِ

تَجْفَلُ مُتَرَاجِعَةً أكثر

ببطء أَمَامَهَا

هِيَ دَائِمًا أَيْنَمَا كَانَتْ

نَظَرِي يَجْعَلُهَا تَفِرُّ

وَاهِن

وَذِرَاعَايَ مَبْسُوطَتَانِ فِي سِرِّهَا المُضِلِّ

إِنَّهَا هُنَا

تَذْهَبُ وَتَأْتِي [1]

يتجلى البعد الاجتماعي أو عزلة المجتمع عند محمد ديب هنا بوصفه حالة الوحدة والغربة التي شعر بها حيث المدينة ليست مجرد مكان، بل هي كما قال "حنين مميت" يهرب كلما حاول الاقتراب من ذلك الفراغ الذي يأتيه كلما حل الليل هو تعبير موجز لوحدته المظلمة وسط مدينة كبيرة.

كما يشعر الشاعر بغربة ذميمة في باريس ويقول :

. مُعَانَاةٌ لَا تُمْكِنُ الرُّؤْيَةُ

وَفَيْضُ الجَمَالِ عَلَى بِسَاطٍ وَاسِعٍ

المَوْتُ يَحْلُمُ

زَغَبِ الإِنْسَانِ

[1]– محمد ديب: ظل حارس ، ص 61.

وَأَنْتَ عَلَى هَذَا الخَطِّ الأَبْيَضِ

دَخَلْتَ عِنْدَنَا نَظِيرًا فِي جَوْقَةِ

أَنْهَكَ أَعْضَاءَنَا

الحِيلَةُ القَدِيمَةُ

لَكِنَّنَا مَوْتَى.[1]

حيث يصف الإنسان بـ (زغب الإنسان) الذي (أنهك أعضاءنا)، ويصف الجماعة بـ "جوقة"، وكأنه ينظر للبشر من الخارج ككائنات غريبة أو هشة، هو موجود بينهم لكنه لا ينتمي إليهم.

(الموت يحلم) أراد الشاعر أن يصور لنا مدى تأثير الواقع السيئ الذي يعيش فيه، حيث يشعر كأنه ميت، لكنه يحلم بحرية، بانتهاء تلك المعاناة.

كما أن الشاعر هنا لا يتحدث بلسانه فقط، بل بلسان جيل أو جماعة تشعر بأنها تعيش حياة "شكلية" بينما هي في العمق فاقدة للروح والقدرة على الفعل.

المطلب الثالث: جمالية توظيف الغربة في ديوان ظل حارس لمحمد ديب

1ـ التشكيل اللغوي:

تعتبر اللغة المادة الخام التي يقوم عليها النص أو الابداع الأدبي الفني، ولغة الشعر دائما ما تختلف عن اللغة العادية، ولكل شاعر لغته الخاصة به والتي تميزه عن شاعر آخر، فيخلق لغة شعرية خاصة، "فالكلمات والعبارات في الشعر يقصد بها بعث صور إيحائية، وفي هده الصور يعيد الشاعر إلى الكلمات قوة معانيها التصويرية الفطرية في اللغة[2]، فاللغة عند الشاعر وسيلة للتعبير عن طريق بعث كلمات ومفردات إيحائية تشكل النص الشعري، فلعة الشاعر تكمن في تجربته الشعرية من خلال اختياره للكلمات وما يمكن أن توحيه.

[1]– محمد ديب: ديوان ظل حارس ، ص 70

[2] – السعيد الورقي: لغة الشعر العربي الحديث مقوماتها الفنية وطاقاتها الابداعية، ط2، دار المعارف،الاسكندرية. مصر، 1983، ص70.71.

تميزت لغة الشاعر بلغة عسيرة ومركزة: حيث يتميز الديوان بتشكيلات لغوية تتسم بالغموض أحياناً وتتطلب التأني في القراءة، حيث تحمل أكبر طاقة تعبيرية ممكنة للذات المتغربة.

حملت لغة محمد ديب مفردات إيحائية تخدم مقاصده وتعبر عن أحاسيسه ومشاعره، لغة ذات دلالة ودقة في التصوير، اختار الشاعر لغة رمزية مصدرها الغربة والحنين لوطنه، البعد والوحدة والمعاناة ليصور معاناة شعبه جراء الاستعمار الفرنسي.

من دلك نجد لفظة غربة وغريب وهي الكلمة المحورية التي تكررت كثيرا في التجربة الشعرية لمحمد ديب وأحيانا تتمظهر من خلال مرادفاتها الدالة أيضا على غربته مثل: المنفى، المظلم، رهينة، الوحشة، وحيدا، عزلة، هواجس، حزينا، تائه، فراغا غريبا، رغبة الصمت، البستان الغريب،**(ظل حارس)**:

أَسِيرُ عَلَى الجَبَلِ

أَيْنَ يَأْتِي الرَّبِيعُ

يَنْبُتُ العُشْبُ الفَوَّاحُ

ومقطع من قصيدة[1]

وفي مقطع من قصيدة **على أرض مضلة** يقول:

غَرِيبَةٍ كَانَتْ بِلَادِي

حَيْثُ تَتَحَرَّرُ العَوَاصِفُ الشديدة

وَتَرْتَجّ[2]

ومن قصيدة غريب نجد قوله:

النَّظْرَةُ الَّتِي تُلْقَى إِلَيْه

تُقْصِي الغَرِيبَ

[1] – محمد ديب: ديوان ظل حارس ، ص14

[2] – المصدر نفسه، ص24

إِنَّهُ الاصْفِرَارُ [1]

ويقول أيضا نفسها:

مِنْ هُنَا جِئْتُ

فَمَا قِيمَةُ شَيْءٍ

بِمِقْدَارِ مِسْمَارٍ؟

وَهَا هُوَ الشَّكُّ يَكْبَرُ عِنْدِي

وَتَزْدَادُ عُزْلَتِي عُمْقًا [2]

تتكرر هذه الألفاظ رمزا لغربة الشاعر، فتارة لغربة ذاتية وأخرى نفسية ومكانية، وكلها تصب في وعاء واحد هو الوحدة والحنين إلى الوطن، يمتزج بشعور الانتماء والالتزام بقضية الوطن الذي استنزفت دمائه وسفكت على تربة طاهرة من أيادي ظالمة، تركت الشاعر في انفصال تام عن المجتمع وعن نفسه أيضا، لم يكفي الابتعاد عن المكان والشوق والحنين الظاهر في القصائد بل زاده ذلك الشعور الغريب الذي يحس به كلما وجد نفسه في مدن باريس وحيدا تائه، بين قلق، وحزن، وفراغ، لا يملأه جمال المكان، ولا المجتمع الغريب عنه. وفي ذكرنا للمعجم اللغوي للشاعر تجدر الإشارة بنا إلى الحضور البارز لمفردات الطبيعة فلا تكاد تخلو قصيدة من قصائد الديوان من ذكر للطبيعة ومظاهرها.

يستخدم الشاعر مفردات دالة على الطبيعة مثل : (الشتاء الليل، الظلام، نجوم، الربيع، العشب، الريح، الزوابع، البحر، الحريق) ليس لوصف الطبيعة، بل كرمز لانتقاد الوجود الاستعماري في المغرب العربي والجزائر، وكذلك من أجل وصف مدينة باريس في غالب الأحيان، فغالبا ما يرمز الليل والظلام لحالة السجن والحصار الذي يعيشه الشاعر داخل مدن باريس، كما

[1] – محمد ديب: ظل حارس، ص 45

[2] – المصدر نفسه، ص46

أن استحضار مفردات الطبيعة بكثرة في قصائده دلالة واضحة منه في جعل الطبيعة كشخصية أساسية في القصيدة، تشارك الشاعر في اغترابه وحزنه.

وهدا نموذج من مقطع شعري لقصيدة "مطلع الفجر" يقول:

الفَجْرُ مُنْبَلِجٌ
وَالطَّبِيعَةُ تُحَاكُ، وَالرِّيحُ، وَالصَّمْتُ
بِخُيُوطِ الدَّمِ
وَالزَّوَابِعِ الصَّفْرَاء
وينحرف لحن الغناء الجميل.[1]

في قصيدة محمد ديب، يبرز تقديم الطبيعة كأداة تعبيرية قوية لنقل مشاعر الأسى والضياع، حيث تتحول العناصر الطبيعية من مجرد خلفية إلى كائنات حية تتجسد فيها آلام الإنسان ومعاناته.

تجسيد الصمت والطبيعة: يمنح ديب الصمت والطبيعة صفة إنسانية أو مادية ملموسة عندما يجعلهما "يُحاكان" بالريح .(خيوط الدم) كأداة حياكة: استخدام "خيوط الدم" لحياكة الطبيعة هو تجسيد للمأساة والوجع الذي يعيشه الشاعر، فالدم هنا ليس مجرد سائل، بل هو مادة بناء لواقع جديد يفيض بالألم والانهيار.

تعبر القصيدة عن حالة من الاغتراب الوجودي، حيث تتحول الطبيعة (الريح، الصمت، الربى) من مصدر للجمال إلى مسرح للانهيار ("تقطعت الأواصر"، "ينحرف لحن الغناء").

ونلاحظ قوله في مقطع من **قصيدة صوت:**

فِي هَذَا الصَّبَاحِ الفَاتِحِ عَيْنَيْهِ قَلِيلًا
فِي الضَّبَابِ وَفِي الوَحْشَةِ
وَبَعْض زُهَيْرَاتِ السُّهُوبِ

[1] – محمد ديب: ديوان ظل حارس ، ص22

ثَمَّةَ أَعْشَابٌ يَابِسَةٌ تَحْتَرِقُ

وَبَعِيدًا هُنَاكَ

رِدَاءٌ يخفقُ أَم إنها امْرَأَةٌ تَمْشِي ؟[1]

تظهر هنا الطبيعة ككائن متألم يصورها الشاعر تماماً كالأعشاب اليابسة التي تحترق، يرى ديب الطبيعة في حالة تحول دائم، وغالباً ما تكون قاسية أو صامتة صمتاً وحشياً يعكس وجع الإنسان المتغرب فاغتراب ديب هنا يكون مكانيا(البعد عن الوطن) أو وجوديًا (الشعور بالوحدة وسط العالم).ديب يجعل من الطبيعة شريكًا في هندا الاغتراب . (الضباب والغموض): يهرب محمد ديب من الوضوح المباشر في لغته. فالطبيعة عنده "تفتح عينيها قليلاً، فهي لا تكشف أسرارها بسهولة، بل تظل ملتحفة بالضباب والرموز.

يقول في مقطع من قصيدة **أرض ظل:**

صَبَّار أَحْشَاءٌ وَنَعْنَعٌ

مَا شَرِبْتُ فِي غُيُوقِي

حُرْقَةَ جِلْدٍ

وَشَوْك يَخِز

رَغْبَتِي

حَوْلَ أَرْضِ ظِلٍّ

وَفُصُول مُخْضَرَّة

تَرْقُصُ عَلَى خَطِّ الأُفُقِ

تأْتُونَ مِنَ الظِّلِّ

وَتَشْرَبُونَ طُولَ النَّهَارِ

صَبَّار أَحْشَاء وَنَعْنَع.[2]

[1] – محمد ديب: ديوان ظل حارس ، ص37

[2] – المصدر نفسه، ص35.

في قصيدة "أرض ظل"، يستخدم محمد ديب عناصر الطبيعة ليس كخلفية جمالية، بل كلغة بديلة يترجم من خلالها وجع الغربة التي شعر بها في فرنسا.

ثنائية (الصبار والنعنع): يمثل "صبار الأحشاء" ألم الانتماء والتمزق الداخلي، بينما "النعنع" هو الحنين لبرودة الذاكرة والوطن. هذا المزج يعكس حالة المغترب الذي يتجرع مرارة البعد مع ذكريات لا تزال حية في أعماقه.

(الظل والحرقة): يهرب من "حرقة الجلد" (الواقع القاسي، شمس الغربة، أو جفاف الروح) إلى "أرض الظل"، وهو الحلم والبعد عن الواقع الذي يمنحه السكينة والهروب من التهميش.

(خط الأفق): تظهر الطبيعة هنا ككيان راقص ومخضر لكنه بعيد، مما يعزز الشعور بالاغتراب، فالجمال موجود ولكنه دائمًا هناك، خلف الأفق، لا يطاله الشاعر الذي يشعر بأنه "يخز" بالشوك حتى في رغباته.

التحول الرمزي: الطبيعة عند ديب في هذه الأبيات التي ترمز إلى العدوانية مثل: (شوك، احتراق) و"منقذة" (ظل، فصول مخضرة) في آن واحد، وهو ما يجسد صراع الجزائري ،الذي يعيش بين ثقافتين ومكانين مختلفين.

2-جمالية التجربة الشعرية في ديوان "ظل حارس" لمحمد ديب

تعد الصورة الشعرية العمود الفقري للنص الشعري، فهي ليست مجرد أداة بلاغية تزين النص، بل هي جوهر الرؤيا الشعرية وأداتها الفعلة في خلق عوالم موازية للواقع، وقد تعددت أنماط الصورة الشعرية بتعدد زوايا النظر إليها ووظائفها في ديوان ظل حارس لمحمد ديب ويمكن حصرها في النقاط التالية:

أ-الصورة البلاغية:

نلاحظ على ديوان ظل حارس لمحمد ديب، كثرة توظيف الشاعر للصور البلاغية، من استعارة، كناية تشبيه، جناس وطباق والتي تعبر عن نفسية الشاعر، عن تجربته في الغربة، لمعاني الحنين للوطن، و عزلته النفسية والاجتماعية وألم الفراق.

أ-الاستعارة: يقصد بها: "مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال، فلا بد فيها من التفكير في المعاني الصادقة القيمة القوية المبتكرة، منسقة حسنة الترتيب مع توخي الدقة، في انتقاء الكلمات والأساليب على حسب مواطن الكلام ومواقفه وموضوعاته وحال من يكتب له أو يلقي إليهم"[1].

تتجسد في قول الشاعر من خلال قصيدة "الساعة المجنونة":

السَّاعَةُ المَجْنُونَةُ

تَائِهَةٌ

سَوْدَاءُ

أَنْتُمْ سَتَعْرِفُونَهَا

بِكَثْرَةِ حِقْدِهَا الأَسْوَدِ [2]

في مقطع "الساعة المجنونة.. تائهة": شبّه الشاعر "الساعة" (وهي رمز للزمن أو لحظة الثورة، الموت) بإنسان مجنون وتائه. حذف المشبه به (الإنسان) وأبقى على صفة من صفاته (الجنون، التيه).

الغرض منها تجسيد الاضطراب والفوضى التي ساد ت بلاد الجزائر في ظل الاستعمار، هي ساعة الموت والحداد، والأجواء المشحونة بالدماء ، التي سفكتها فرنسا على الجزائر .

وفي سياق الصورة الاستعارية يقول الشاعر في قصيدة **أغنية الأطفال**

واحد

الحَرِيقُ

إلى الخنجر

هَذِهِ اللُّعْبَةُ

تُمَزِّقُ الطَّبِيعَة

[1] أحمد قاسم: علوم البلاغة (البيان البديع المعاني)،(د. ط)، المؤسسة الحديثة الكتاب، لبنان، 2003، ص 08.

[2] – محمد ديب: ديوان ظل حارس ، ص19.

اثْنَانِ [1]

نلاحظ وجود استعارة مكنية في مقطع "تمزق الطبيعة": حيث صور الشاعر الطبيعة كشيء مادي (ثوب أو جسد) يُمزق، فحذف المشبه به وأبقى على قرينة تذل عليه، على سبيل الاستعارة المكنية.

وهي صورة توحي بالخراب الداخلي للشاعر استعان الشاعر بالطبيعة لوصف شعوره الداخلي في غربته، فذلك التمزق ينطبق في الواقع على الشاعر، والطبيعة ماهي إلا صورة استعارية رمزية زادت من فنية وجمالية القصيدة، وأثرها تقوية المعنى وتجسيده .

نلاحظ أيضا تجسيد الصور الاستعارية من خلال قوله في قصيدة **مساء في الغابة**

عُمْقُ السَّمَاءِ الأَزْرَقِ يَخْفِقُ
شوارع أشجار، بشر
وَالحَيَاةُ بِرُمَّتِهَا تُصْغِي
وَيَفِيضُ السلْمُ المُتَدَفِّقُ لِلْعَالَمِ [2]

مقطع "**السماء الأزرق يخفق**": حيث شبه الشاعر السماء بقلب ينبض (يخفق)، وحذف المشبه به القلب، ليبقي على قرينة دالة على ذلك "يخفق" على سبيل الاستعارة المكنية.

تتجاوز الصورة معناها الحسي المباشر فعمق السماء، هو الفضاء الشاسع اللامتناهي، يرمز للمنفى "باريس، ببرودته واتساعه المحش، فاللون الأزرق يحيل على البرودة والصمت والعزلة، يخفق وهي علامة على قلب الشاعر فهو إسقاط لخفقان قلبه.

الشاعر لا يصف السماء بل يؤنس غربته، السماء التي تخفق هي قلبه المعلق في باريس.

نلاحظ أيضا وجود استعارة في المقطع القائل "**الحياة برمتها تصغي**": استعارة مكنية حيث جعل "الحياة" كائناً له أذنان يصغي للسكينة، للدلالة على خشوع الطبيعة في المساء.

[1] – محمد ديب: ديوان ظل حارس، ص20.

[2] – المصدر نفسه، 49.

هي صورة شعرية لصمت المنفى، فالمعنى من المقطع لا يحيل لحالة من الهدوء إنها هي عزلة خانقة، الشاعر الغريب يخفق قلبه في سماء باردة، وحوله عالم كامل يتفرج ويصغي.

لقد مكنت الاستعارة في ديوان محمد ديب، من التعبير عن ما لا يقال مباشرة، حول الشاعر من خلالها الجمادات كالساعة والسماء، الحياة.. إلى كائنات تشاركه قلقه، فصار المنفى كله كائنا حيا، وعليه فالاستعارة في ظل حارس لم تصف الغربة بل عاشتها وجسدتها، لتفصح عن الواقع الذي عاشه الشاعر.

ب-الكناية :

من الصور البلاغية التي حضرت في النص الشعري " ديوان ظل حارس" لمحمد ديب الكناية، والمقصود بها" "ترك التصريح بذكر لشيء إذا ذكر ما يلزمه لينتقل من المذكور إلى المتروك"[1] ولها تأثير عميق على المتلقي ونجد صور لها في قول الشاعر:

يَدُ القَلْبِ البَيْضَاءُ مَبْسُوطَةٌ
فِي عَالَمِ الوُحُوشِ وَالنَّارِ
تَرْتَجِفُ
كُلُّهَا سَوْدَاءُ
نَافِذَةُ الطُّفُولَةِ
تُوجَدُ ثَانِيَة فِي الشَّمْسِ
مَرْجٌ مِنْ لَهَبٍ
يُطَارِدُهَا بَيْنَنَا [2]

نلاحظ في المقطع الشعري وجود 3 كنايات أساسية وهي كالتالي:.

[1] محمد إبراهيم شاوي، علوم البلاغة : وتجلي القيمة الوظيفية في قصص العر المعاني. البيان. البديع ط1، دار اليقين، مصر، 2011م، ص375

[2] – محمد ديب: ديوان ظل حارس، ص29.

مقطع " يد القلب البيضاء مبسوطة" وهي كناية عن صفة البراءة، النقاء، يصور الشاعر من خلال هذا المقطع، وجوده كشخص يواجه وحشية العالم الغربي ببراءة، بدون قناع، يده مبسوطة وهي لفظة توحي بالاستسلام بالضعف.

مقطع " عالم الوحوش" وهي كناية عن المنفى الغربي باريس. فمنفى محمد ديب ليس بمدينة عادلة هو غابة قوانينه وحشية، علاقاته باردة، فالوحوش كناية عن قسوة الحضارة الغربة التي تسحق الغريب، وهذا يعني براءة الشاعر في مواجهة توحش العالم.

مقطع " النار ترتجف كلها سواد" كناية عن الرعب والاحتراق الداخلي الذي يعيشه الشاعر، فالشاعر يحترق من شدة حنينه خوفه، ورعبه.

ننتقل لمقطع شعري آخر يحمل كناية في نفس السياق عن الغربة يقول الشاعر:

. تَحْتَ المَدِينَةِ النَّائِمَةِ

قَلْبٌ يَخْفِقُ بِهُدُوءٍ

عَيْنٌ تَجْرِي

فِي عُمْقِ حَدِيقَةٍ صَغِيرَةٍ مُظْلِمَةٍ.[1]

نلاحظ من خلال هذه الأبيات صورة بلاغية متمثلة في الكناية من خلال مقطع "**المدينة النائمة**" كناية عن صفة السكون، اللامبالاة، فباريس نائمة عن وجع ديب، الناس نائمون، هو وحيد مستيقظ فيها .

يقول "قلب يخفق بهدوء" وهي كناية عن صفة، كناية عن الألم المكتوم ، الحنين الصامت والمقاومة السرية للشاعر، فالمغترب لا يستطيع الصراخ، بل تفضحه دموعه، والغربة تعلمك كيف تدفن أوجاعك.

[1] – محمد ديب: ديوان ظل حارس، ص58

ويقول "عين تجري" وهي كناية عن موصوف، وهي كناية عن الدموع، او نهر من البكاء، يوحي هذا المقطع بالاستمرارية، دموع الغربة ليست وليدة لحظة عابرة بل هي نهر دائم.

جاءت الكناية عند محمد ديب قناعا فنيا، يحمي هشاشة الذات المغتربة، فالشاعر لا يتهرب من الواقع، بل يعيد تشكيله ليصبح أكثر وجعا وأشد صدقا.

ج-التشبيه: في مفهوم " الدلالة على مشاركة أمر الأمر في معنى"[1]

من صوره مقطع من قصيدة غريب يقل الشاعر:

"بَارِيسُ الدَّاكِنَة
لِلْمَنْفَى
جَحِيمٌ "[2]

بناءً على الكلمات التي ذكرتها (باريس الداكنة، المنفي، شكوى، المتيمين)، فإن الصورة البلاغية "التشبيه" تظهر بوضوح في تصوير باريس ككيان معنوي أو مادي يعكس معاناة المغترب.

باريس الداكنة (تشبيه بليغ) حذفت فيه الأداة ووجه الشبه

شبه الشاعر مدينة باريس (المعروفة بمدينة الأنوار) بـ "الليل الداكن" وجه الشبه هنا هو الظلمة والكآبة التي يشعر بها الغريب وهي محذوفة، مما يعكس مفارقة بين واقع المدينة المضيء وشعور الشاعر المظلم بالوحدة والجحيم.

باريس داكنة في عين محمد ديب، وقد حدد أن هذا الجحيم خاص بالمنفى، لأنه لو كان سائح أو مهاجر لرآها مضيئة، إلا أنه منفاه بذلك حول الشاعر المكان من جغرافيا إلى جحيم العذاب.

[1] – عبد اللطيف شرقي، في علوم البلاغة، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، مصر، 2004 ، ص137

[2] – محمد ديب: ديوان ظل حارس، ص50

في صورة جلية يصف الشاعر عتاب الناس بتشبيه تمثيلي من قصيدة "**على الأرض المضلة**" يقول:

لِمَاذَا يَقُولُونَ لِي:

لِمَاذَا رُحْتَ تَقِفُ عِنْدَ أَعْتَابِ أخر

كَزَوْجَةٍ مُطَلَّقَةٍ [1]

يكمن التشبيه هنا في المشبه هو الشاعر، المشبه به زوجة مطلقة، أداة التشبيه الكاف، وجه الشبه الذل، الانكسار، الاحساس بالغربة.

الأعتاب وهي عتبة الباب، يقف معلقا لا داخل ولا خارج منها، اخر وهو البيت أو الوطن غير وطنه أي فرنسا بالنسبة للشاعر، فمحمد ديب واقف طول عمره على عتبة موطن الآخر، كزوجة مطلقة، حيث استحضر الشاعر هذا التشبيه بالذات لأنها أقوى صور الانكسار في المجتمع العربي(طلاق المرأة)، نظره المجتمع للمرأة المطلقة هي نفسها نظره الفرنسيون للغريب في منفاهم، نظرة شفقة، ممزوجة بخوف، فالمنفى هنا جعل من ديب كامرأة مطلقة من أهلها، موطنها، جعلت الناس تلومه.

ثم يرادف تعبيره في نفس القصيدة فيقول:

أَنَا المُتَحَدِّثُ يَا جَزَائِر

رُبَّمَا لَسْتُ إِلَّا كَاتِفَةَ امْرَأَةٍ

مِنْ نِسَائِك

لَكِنَّ صَوْتِي لَنْ يَقِفَ [2]

من أقوى الصور التشبيهية في الديوان مقطع يلم فيه الشاعر وجعه، كرامته، وتحديه،

[1] – محمد ديب: ديوان ظل حارس، ص25.

[2]– المصدر نفسه، ص 25–26.

المشبه: الشاعر(أنا)، المشبه به: امرأة تافهة، أداة التشبيه : الكاف وجه الشبه: انعدام القيمة في نظر الناس، الانتماء الى الجزائر رغم كل شيء.

لقد شبه الشاعر نفسه بأتفه امرأة موجودة في صورة احتقار للذات، ديب يصل لقاع الإحساس بالدونية بسبب الغربة، فالمنفى لم يجعله شخصا ضعيفا فقط، بل بلا قيمة تافه، وهذا ما أوصلته الغربة النفسية للشاعر من إحساس بالذنب، وبقاءه بعيدا عن أحبته التي تجاهد في سبيل الحرية.

في معنى التشبيه أن الشاعر يقول يا جزائر ربما أنا أحقر مواطن فيك، ربما لا أساوي شيء، ربما خذلتك لأني في المنفى، لكن أنا أدافع هنا بصوتي، فهو لم يقف ساكتا وصوته سيكون صدى للعالم.

تشبيهات ديب في ديوان ظل الحارس، هي صور جمالية فنية، يحاكم فيها المنفى، تدان الغربة، ويبرأ نفسه، فكان الجمال عنده هو أن تقول أنا تافه لكن بصوت لا ينكسر.

2-الصور البديعية:

إدا كانت الصور البيانية هي روح القصيدة فإن المحسنات البديعية من أهم أدواتها الجمالية، والتي تضفي على النص طاقة إيقاعية ودلالية، فقد توسل محمد ديب لمجموعة من المحسنات البديعية ليجسد حالة الانقسام والصراع الداخلي، الذي ألم به في غربته ومن أمثلة ذلك نجد:

أ-الطباق:

اصطلح البلاغيين على أن الطباق الجمع بين الشيء وضده، وقيل أجمع الناس على أن المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشيء وضهده مثل الجمع بين البياض والسواد والليل والنهار[1] ظهر الطباق في القصيدة بصور عدة من بينها ما نجده في قصيدة غريب يقول الشاعر:

[1] ينظر محمد إبراهيم شاوي، علوم البلاغة، ص14-415.

أَنَا المُنْزَعِجُ الَذِي
يَسُدُّ الطَّرِيقَ أَمَامَكُمْ
لَسْتُ مَيْتًا وَلَا حَيًّا [1]

مقطع من قصيدة غريب "لست ميتاً ولا حياً": طباق إيجابي جمع بين الضدين الحياة والموت يبرز حالة "العدمية" أو الضياع الوجودي. الشاعر هنا لا ينتمي لأي من العالمين، مما يخلق صورة ذهنية لشخص يعيش في منطقة فراغ، الشاعر معلق لا هو في الجزائر ليموت فيها مطمئنا ولا هو في باريس ليحيا كمواطن، فهنا العالم المنفي يمثل الحياة الجسدية لكن الموت الروحي.

يقول الشاعر في قصيدة من الديوان:

فِي وُضُوحِ النَّهَارِ
فَجْأَةً
وَكَأَنَّ اللَّيْلَ يُخَيّمُ
حَلِمْتُ بِظِلٍّ يُلَثْمُنِي

يظهر الطباق هنا في لفظتين (الليل – النهار) ، وظف الشاعر الطباق هنا ليس كزينة لفظية، وإنما قصد تجسيد مأساة المنفى، فانقلاب الزمن المفاجئ بين النهار والليل، فالغربة تقلب الموازين ، والمنفى يجعل النهار ليلا، والضوء الخارجي لا يستطيع طرد ظلمة الروح المشبعة بالعزلة والوحدة.

وفي قصيدة نور معاكس يقول الشاعر:

البَحْرُ بِذِرَاعَيْهِ النَّائِمَتَيْنِ
يَحْمِلُ الشَّمْسَ
لَا شَرْقَ

[1] – محمد ديب: ديوان ظل حارس، ص45

لَا غَرْبَ [1]

الطباق في قول الشاعر "لا شرق ولا غرب" هنا الشاعر يسقط انتمائه لذلك العالم، تشظي الهوية وغربة المكان الذي لا ينتمي إليه، فهو غريب عن أهله من جهة وعن المكان الذي ينتمي إليه من جهة أخرى، فديب هنا سقط من الخريطة عبر التضاد الذي وظفه، فهو خسر الانتماء إلى تلمسان(الجزائر) ولم يربح انتمائه لباريس.

ويقول أيضا في مطلع أطوار الليل:

أُوغْلُ فِي اللَّيْلِ

أَحْفِرُ المَرَايَا

أَيْنَ تَتَوَاصَلُ أَرْصِفَةٌ وَمُلْتَقَيَاتُ طُرُقٍ

وَأَنْهَجٌ وصَوَارٍ

وَجُدْرَانٌ مُغَطَّاةٌ بالملصقات

أَوْ عَارِيَةٌ تَمَامًا [2]

ظهر الطباق بوضوح في المقطع : "جدران مغطاة بالملصقات / أو عارية تماماً"

هذا الطباق يعكس التناقض الداخلي الذي يشعر به الشاعر (بين الصخب والوحدة، أو الحقيقة والزيف).كتعبير فني عن تمزق الذات المغتربة بين نقيضين "زيف الواقع الاستعماري الذي يغطي القمع بشعاراته، وحقيقة العري والانكشاف التي خلفها. فالجدران رمز للوطن، إما محجوبة بقناع التزييف أو متروكة لعراء الذل، وفي كلا الحالين تعكس فقدان الهوية الأصلية والشعور العميق بالاغتراب.

هذا الطباق يجعل القارئ يتوقف ليتأمل المسافة بين الحالتين، مما يزيد من كثافة الصورة الشعرية.

[1] _ محمد ديب: ديوان ظل حارس ، ص34.

[2] – المصدر نفسه، ص57

إِلَى الفَجْرِ
لِيُسْمَعَ فِي كُلِّ مَكَانٍ
في كل مكان ظَلَامٌ وَاقِفٌ
وَوُضُوحٌ تَامّ[1]

الطباق بين "الظلام الواقب" و"الوضوح التام" يبرز التناقض الحاد الذي يعيشه الشاعر، حيث يرى الحقيقة بوضوح رغم شدة العتمة المحيطة.

يعكس الطباق حالة من الحيرة أو المكاشفة، حيث يشير إلى أن الاستنارة والوضوح قد يأتيان من قلب الظلام أو في أشد لحظات العزلة (لحظة الفجر)

يجذب الطباق ذهن القارئ للمفارقة بين الحالة البصرية (الظلام) والحالة الذهنية (الوضوح)

نستنتج من جميع حالات الطباق التي مرت على القصيدة، أن كلها تجتمع في جرح واحد وهو الغربة، وصراع الشاعر بين هويته والتي تمثل الأنا، الجزائر، الشرق، والآخر الذي يمثل فرنسا، المنفى، الغربة، الغرب.

ب-الجناس:

وقبل الإشارة إلى مظاهر الجناس في الديوان، نشير إلى مفهومه وهو" "من جانس الشيء ماثله، فقد روعي في هذه التسمية التماثل اللفظي، وهو أحد أمرين، منهما الجناس الاصطلاحي وهو تماثل الكلمتين أو تقاربهما لفا، والثاني هو اختلافهما معنى"[2]

يقول الشاعر في قصيدة:

بَارِيسُ
كُلُّ بَارِيس
بِمَا تَحْتَوِي
أَنْذَرْتُهَا لِلشَّيْطَانِ[3]

[1] – محمد ديب، ديوان ظل حارس، ص57

[2] محمد إبراهيم شاوي، علوم البلاغة، ص519.

[3] – محمد ديب: ديوان ظل حارس، 41.

يظهر المقطع وجود جناس تام بين لفظتين "باريس–باريس" اتفقا في النوع، العدد، الهيئة، الترتيب، جاء التكرار هنا بصرخة موجعة، فجناس الشاعر هنا ليس تكرارا، إنما تأكيد على أنه مسجون ومحاصر في جدران باريس، ليعلن أنه ندرها للشيطان، ليتحرر من قيودها، فهي في نظره مملكة للشيطان، سرقت منه وطنه، لغته، شبابه، فالشيطان هنا، هو رمز للاستعمار، واغتراب الهوية.

يقول الشاعر في قصيدة التماثيل:

أنا الرفيق المثالي للتماثيل

في الحدائق العامة القليلة الارتياد

أرقب شفاهها

اين تقف

كلمة قتيلة

حركاتها الحجرية

بشحناتها الغريبة[1]

يتضح الجناس في هذا القول الشعري في كلمة(القليلة/ قتيلة) وهو جناس ناقص، اختلاف في الحروف والمعاني، ربط الجناس هنا بين المكان واللغة/ فالمكان قليل الارتياد، من الناس، والكلمة القتيلة التي تعبر عن الفراغ الخارجي الذي يقتل الكلام الداخلي، فالمنفى يقتل الجسم واللغة، فهو جالس في حديقة شبه فارغة يترقب شفاه الناس، ينتظر كلمة، لكنها تقف على الشفة وتموت قتيلة، فالمنفى والغربة هي الموت البطيء للغة والكيان والهوية قبل أن تكون موت للإنسان.

في صورة أخرى للجناس في قصيدة هذا اليوم يقول الشعر:

كيف يعبر عن هذا

أصدقائي الأعزاء

كيف يعبر عن هذا الشقاء

آه !

أبدا

1– محمد ديب: ديوان ظل حارس، ص47

أستطيع استحضار هذا الألم[1]

يحضر في هذا المقطع " كيف يعبر عن هذا/ كيف يعبر عن هذا) جناس تام مكرر، تكرار اللفظ، المعنى، وذلك للتأكيد والتحسر.

تكرار اسم الاشارة يوحي بحضور الألم رغم العجز عن وصفه، الشاعر واقف عاجز أمام وجعه، فمحمد ديب يفقد اللغة مرتين، مرة لأنه في بلاد تتكلم بغير لغته، ومرة لأن وجعه أكبر من كل اللغات، "كيف يعبر" تتكرر هذه اللفظة لأن كل محاولة تعبير تفشل منه، فيرجع لنقطة الصفر ويسأل من جديد.

هنا الشاعر لا يبحث عن جواب، بل يسجل شهادة وفاة التعبير، فكان التكرار صدى لفراغ يسكنه، غربة عن الوطن، عن الذات، عن اللغة.

إن القصائد تزخر بالمحسنات البديعية، وهذه ماهي إلا أمثلة طفيفة لتبيان حضور هذه الصور الفنية، التي تركت أثر بلاغي، جمالي في القصيدة، عززت المعنى، وأكدت على تجربة الغربة وحضورها في ديوان " ظل حارس" لمحمد ديب.

[1] – محمد ديب: ظل حارس، ص51.

خاتمة

بعد أن أنهينا بحثنا هذا بحمد الله وفضله، كانت أبرز النتائج التي توصلنا إليها في دراسة الغربة في ديوان " **ظل حارس لمحمد ديب**" توصلنا لمجموعة من النتائج متمثلة فيما يلي:

كشفت الدراسة أن نشأة مصطلح الغربة يعود إلى النصوص القديمة، امتدت جذورها من العصر الجاهلي حتى الحديث، وهذا ما أكد العمق التاريخي لأن الغربة ليست بظاهرة جديدة على التجربة الأدبية.

ذكر مصطلح الغربة في الشعر، كما هو الحال في النثر، أظهرت التجارب الشعرية حالة الغربة والانفصال الذاتي والوجودي، المكاني للشعراء الذين وظفوا الغربة في شعرهم، كما تبين وجود الغربة في الفنون النثرية من بينها الرواية.

إن هذا التحديد المفاهيمي والتأصيل التاريخي والتصنيفي لظاهرة الغربة يمنحنا عدة نظرية ومنهجية متماسكة لمقاربة وتحليل ديوان "ظل حارس". الذي جسد صور الغربة بشتى أبعادها.

صورة الغربة في لديوان ليست غربة مكانية فحسب، بل هي غربة وجودية نفسية، زمانية، لغوية وثقافية، مشحونة بطاقة إيحائية تحيل إلى العزلة والوحدة والفقد، البعد والاغتراب الذي عانى منه الأديب محمد ديب.

تمزق الشاعر بين لغة الكتابة الفرنسية ولغة الروح العربية، فاغترب الشاعر حتى في غربته، حينما كتب بلغة الآخر معبرا عن معاناته، متكلما بلسان الشعب الجزائري الذي عاش ظلم المستعمر.

إن عكست الغربة سلبا على نفسية الشاعر، تبين ذلك في عمق تجربته الشعرية خارج وطنه "الجزائر" أنتج لنا ذلك بناء فني أدبي بصورة جمالة، بث فيها غربته المكانية، النفسية، الوجودية، فتميز شعره بلغة الرمزية والإيحائية.

تمثلت الغربة في ديوان محمد ديب في جميع أشكال، العزلة، البعد الجسدي، النفسي، النفي، الوحدة، وهي ألفاظ أوردها الشعر بكثرة في قصائده للدلالة على ألم الغربة الذي، شعر به في

فرنسا، كما تدل على وحشته لوطنه، معاناته في فقد أحبائه جراء ما فعلته فرنسا من قتل وتشريد، تجويع، اضطهاد ظلم و نفي ..الخ.

حضرت الطبيعة بشكل مكثف في ديوان ظل حارس، ليرمز من خلالها الشاعر عن ثورة نفسية من خلال الإيحاءات الدالة ورموز الطبيعة الدالة على قلقه، اضطراباته النفسية، ألمه، ذكر الطبيعة لكن ليس بتلك الصورة العادية لها، وإنما بصورة تشخيصية تجسد غربة الشاعر الموحشة.

ظل حارس لمحمد ديب لوحة فنية، رسمها شاعر مغترب عن بلاده، عن موطنه الحبيب كتبت قصائد بأنامل مجاهد بالقلم، رسالة نبيلة تهز كيان المستعمر، رسائل مشفرة ورموز بدلالات مكثفة تحاكي معاناة البعيد عن وطنه، عزلة شاعر وحيد وسط جمع غفير من الناس لتدل على عزلته حينما تصل الغربة لأوجها.

نستنتج أن البناء الفني والجمالي في تجربة الغربة في ديوان ظل حارس لمحمد ديب، كان انعكاسا لغويا مباشرا لتجربة الغربة والعزلة، فالشاعر المنفي، الذي وجد نفسه بين لغتين وثقافتين وعالمين، وجد في الصور البلاغية من الاستعارة، والطباق، الجناس، معادلا فنيا لتمزقه الداخلي.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أ- المصادر

1. محمد ديب: ظل حارس ديوان محمد ديب، تر: محمد سعدون، دار خيال للنشر والترجمة، برج بوعريريج- الجزائر، 2019م.

ب –المراجع

1. أحمد بن حسين الجعفي المتنبي أبو الطيب: ديوان المتنبي، دار بيروت، بيروت، 1983م
2. أحمد قاسم: علوم البلاغة (البيان البديع المعاني)،(د. ط)، المؤسسة الحديثة الكتاب، لبنان، 2003
3. إبراهيم عيد: علم النفس الاجتماعي، ط1، مكتبة زهراء الشرق، مصر ، 2000م،
4. جار الله محمود بن عمر الزمخشري: أساس البلاغة، تح: مزيد نعيم، شوقي المعري، ط1، دار صادر، بيروت- لبنان، (د.ت)
5. حمد بن عبد الله التويجري: غربة الإسلام، تح: عبد الكريم بن حمود الويجري، ط1، دار الصميعي للنشر، المملكة العربية السعودية، 2010م
6. رجب محمود: اغتراب، ط1، منشأة المعارف المصرية، الاسكندرية- مصر، 1978م.
7. ريتشارد شاخت: الاغتراب، تر: كامل يوسف حسن، ط1، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت- لبنان، 1980
8. ابن القيم الجوزية: الغربة والغرباء، ط1، دار الهجرة للنشر، المملكة العربية السعودية، ، 1989.
9. السعيد الورقي: لغة الشعر العربي الحديث مقوماتها الفنية وطاقاتها الابداعية، ط2، دار المعارف، الاسكندرية_ مصر، 1983
10. عبد الرزاق الخشروم: الغربة في الشعر الجاهلي، (د.ط)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق-العراق، 1986

11. عبد القادر عبد الحميد زيدان: التمرد والغربة في الشعر الجاهلي، ط1، دار الوفاء، الإسكندرية–مصر، د ت

12. أبو العلاء المعري: لزوم ما لا يلزم (اللزوميات)، ج1، دار صادر، بيروت، د.ت

13. عبد اللطيف شرقي: في علوم البلاغة، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، مصر، 2004

14. عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الاغتراب،(د. ط)، دار الغريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، 2008

15. عبيدة الشبلي: شعر الغربة عن الوطن بين القديم والحديث، (د. ط)، مركز حمرون للدراسات المعاصرة، الدوحة–قطر، 2018م.

16. علي إبراهيم النملة: إشكالية المصطلح في الفكر العربي الاضطراب في النقل المعاصر للمفهومات،ط1، بيسان للنشر والتوزيع، لبنان، 2010م.

17. عمرو بن بحر الجاحظ: الحنين إلى الأوطان،ط2، دار الرائد العربي للنشر، 1982م.

18. عمرو بن مالك: ديوان الشنفرى، تح: ايميل بديع يعقوب، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت–لبنان، 1996م.

19. لزهر مساعدية: نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي، (د. ط)، دار الخلدونية، الجزائر، 2013م.

20. محمد الأخضر السائحي: الديوان، "همسات وصرخات"، المطبوعات الوطنية، الجزائر، 1965م.

21. محمد عباس يوسف: الاغتراب والابداع النفسي، دار غريب للطباعة والنشر، مصر، 2005م.

22. محمود درويش: الأعمال الشعرية الكاملة، ج1، ط1، رياض الريس للنشر، 2005.

23. محمود علي مكي: ديوان ابن دراج القسطلي، ط1، منشورات المكتب الإسلامي، دمشق، سوريا، 1961م.

24. يحي الجبوري: الحنين والغربة في الشعر العربي الحنين إلى الاوطان ، ط1، دار مجدلاوي، للنشر والتوزيع ،عمان، الاردن، 2008

ج- المعاجم والقواميس

1. جمال الدين بن منظور: لسان العرب، ج1، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، م1955.
2. الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين ، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت-لبنان، 2004م
3. محمد بن بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، (د. ط)، مكتبة لبنان للنشر، لبنان،
4. محمد بن يعقوب الفيروز آبادي مجد الدين: قاموس المحيط، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2008م.

د- الرسائل الجامعية

1. حمدة دحاني: ظاهرة الغربة في شعر مفدي زكريا، رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة منتوري- قسنطينة، كلية الآداب واللغات، 2005-2006م.

ي- المجلات

1. (عالم الفكر) ، عدد1، مجلد 10، كردستان-العراق، 1979م، .
2. (فكر)، مجلد العاشر، ع1، الكويت، 1979م.
3. (التعليمية)، عدد 13، مجلد 5، جامعة حبيبة بن بوعلي الشلف الجزائر، 2018م.
4. (العلوم الإنسانية والاجتماعية)، عدد 8، جامعة وادي سوف الجزائر، 2012م.
5. (أنثربولوجية الأديان)، مجلد 9، ع 2، جامعة تلمسان، الجزائر، 2013م.
6. (الآداب والعلوم الإنسانية)، لبنان، 19، يوليو 2019م.

هـ_ المقالات

1. إيناس محروس بوبس: غربة اللغة العربية بين أهملها.. المظاهر والأسباب ومنهجيات المعالجة، مقال، 25 أفريل 2024م، www. Aljazeera.net
2. جمال غلاب: قراءة في ديوان (ظل حارس) لمحمد ديب، مقال تأثير الشعر المغاربي في الشعر العالمي، الثلاثاء 2ماي 2002/ عبر الموقع الإلكتروني https://www.diwanalarab.com.
3. سعيد خطيبي: المترجم الجزائري حكيم ميلود: هاجسي إرجاع محمد ديب إلى بيته، مقال، القدس العربي، 5-أبريل، 2024، عبر الموقع الالكتروني WWW .alquds.com
4. سيدي أحمد بن أحمد سالم: الأديب الجزائري محمد ديب.. مبدع عربي بلغة موليير، نشر بتاريخ: 3\5\2003 الموقع الالكتروني https://elayem.net
5. هارون عمري: محمد ديب... نساج الكلمات ومهندس السرد الجزائري، مقال نشر بتاريخ 28 مارس/2026 مقال عبر موقع الالكتروني WWW/ aljazeera/net

فهرس المحتويات

- **فهرس المحتويات**

الموضوعات	الصفحة
مقدمة.....	أ-ت
الفصل الأول: مصطلح ومفاهيم.....	04
المبحث الأول: مفاهيم عامة.....	05
المطلب الأول: مفهوم الغربة.....	05
المطلب الثاني: بين الغربة والاغتراب.....	09
المطلب الثالث: نشأة مصطلح الغربة.....	13
المبحث الثاني: أنواع الغربة وأبعادها	19
المطلب الأول: أنواع الغربة.....	19
المطلب الثاني: أسباب الغربة وأبعادها.....	25
المطلب الثالث: الملامح العامة لديوان " ظل حارس" لمحمد ديب.....	30
الفصل الثاني: تجليات الغربة في ديوان ظل الحارس لمحمد ديب	35
المبحث الأول: الملامح العامة لديوان " ظل حارس" لمحمد ديب.....	37
المطلب الأول: مضمون ديوان ظل حارس.....	37
المطلب الثاني: قيمة ديوان محمد ديب في ظل الحارس في الدراسات الأدبية.....	40
المبحث الثاني: مظاهر الغربة في ديوان ظل حارس لمحمد ديب	42
المطلب الأول: صورة الغربة في ديوان ظل حارس.....	42
المطلب الثاني: أبعاد الغربة عند محمد ديب في ديوانه ظل حارس.....	53
المطلب الثالث: جمالية توظيف الغربة في ديوان ظل حارس لمحمد ديب.....	59
خاتمة.....	77
قائمة المصادر والمراجع	80
فهرس الموضوعات.....	85
ملخص الدراسة.....	87

الملخص:

يدور موضوع البحث حول: الغربة في ديوان ظل حارس لمحمد ديب، بوصفها محورا دلاليا وجماليا ومركزيا، جاءت هذه الدراسة للبحث عن صورة الغربة في ديوان ظل حارس لمحمد ديب، لتبيان أن الغربة تجاوزت المنفى الجغرافي إلى المنفى النفسي واللغوي وهذا ما أسفرت عنه دراسة قصائد الديوان، لينتج لنا غربة نفسية، وجودية، مكانية، كما تبين أن غربة محمد ديب امتدت للغة، حيث أصبحت اللغة التي كتب بها محمد ديب "لغة المنفى" عاجزة عن احتضان وجعه ووحشته لبلده الجزائري لأصيل. تكشف الدراسة على وجود الآخر كسبب جوهري للغربة فالمجتمع الغربي يمارس إقصاء تام يحول الشاعر إلى "ظل" وحارس" على أبواب ذاكرة لا يملكها، لذلك لم تكن الغربة استسلاما للضياع، بل فعل تأسيس شعري حول الألم إلى جمال فني أدبي، وجعل من المنفى فضاء للإبداع الأدبي.

الكلمات المفتاحية: الغربة، محمد ديب، المنفى، الأخر، الإبداع الأدبي.

Résumé :

Cette étude porte sur l’exil dans le recueil L’Ombre gardienne de Mohammed Dib, considéré comme un axe sémantique et esthétique central. Elle vise à suivre l’image de l’exil dans les poèmes du recueil et montre que l’exil dépasse chez Dib le cadre géographique pour inclure l’exil psychologique et linguistique.

L’étude révèle que l’exil se manifeste à trois niveaux : spatial, psychologique existentiel et linguistique. Le poète se retrouve incapable de faire de la langue d’écriture un réceptacle de sa douleur et de sa nostalgie pour l’Algérie, si bien que la langue de l’exil devient un obstacle à l’expression authentique.

Elle montre également que l’Autre occidental constitue une cause essentielle de l’exil, en pratiquant l’exclusion et la marginalisation, ce qui transforme le poète en « ombre » et en gardien aux portes d’une mémoire qui ne lui appartient pas. Cependant, l’exil n’est pas un abandon à la perdition, mais un acte poétique fondateur par lequel Mohammed Dib transmute la douleur en beauté littéraire et fait de l’exil un espace de création.

Mots-clés : exil, Mohammed Dib, exil, l’Autre, création littéraire.